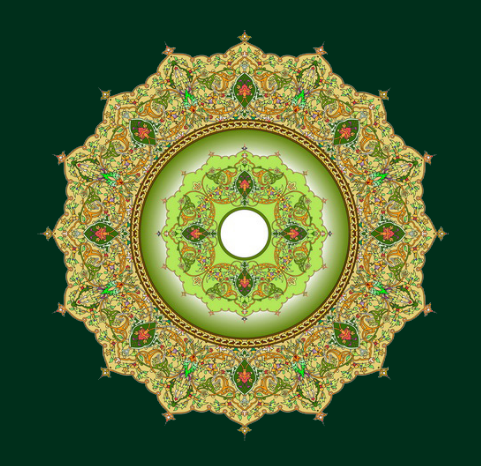
لماذا قالوا؟

لا طاقة لنا اليوم؟

الطاقة المهدرة وسبيل الحصول عليها لنكون أسعد من يمشي على الأرض
من دون غم ولا هم



تأليف

د / محمد بن أحمد بن محمد الجحلان

@maljahlan

الطبعة الثانية

١٤٤١ هـ / ٢٠٢٠م

إن الذي يشرب من النهر والكل ينظر إليه وهو غير مبال بما يفعله أمام الجميع وقد نُهي عن الشرب منه، هو الذي كان قد شرب المعاصي شربا، وجاهر بها وتفاخر بها ، فهو لا يستحي من الناس، ولا يستحي من الله ابتداءً. فتراه يشرب الكذب شربا، ويشرب الربا شربا، ويشرب الفواحش شربا، ويشرب الخيانة شربا و لا يرده عن أي ظلم إلا عدم وجود فرصه أمامه، فمتى ما وجد فرصة للظلم تراه ظالما. وهذه الفئة قد تبرأ منها طالوت وقال عنهم فيما أخبرنا به الله: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي﴾

ومن حكمة الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أن فضح هؤلاء الظالمين أمام الناس حتى يميز الناسُ بين أهل الحق وبين أهل الباطل. وبذلك يعلم الناسُ من يتبعونه ومن يحذرون منه ...




بسم الله الرحمن الرحيم



ح محمد بن أحمد بن محمد الجحلان، ١٤٣٤ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجحلان، محمد بن أحمد بن محمد

لا طاقة لنا اليوم: الطاقة المهدرة وسبيل الحصول عليها

محمد بن أحمد بن محمد الجحلان. - الرياض، ١٤٣٤ هـ

ط ١ - الرياض، ١٤٣٥ هـ

ص٧٧؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٣-٢٩٩٧-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- الوصايا والحكم

٢- الوعظ والإرشاد أ. العنوان

ديوي ٨١٨,٠٢ ١٤٣٤/٨٤٦٦

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٨٤٦٦

ردمك: ٣-٢٩٩٧-٠١-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الثانية

١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠م



بسم الله الرحمن الرحيم

المراد بالطاقة

الحمد لله رب العالمين، نحمده سبحانه ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: عندما خلقنا ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلق لنا طاقة نستطيع أن نتقوى بها في كل أمورنا، لنتغلب على كل المعوقات، ماديةً كانت أو معنوية، فلا نشعر بعدها بغم ولا حزن ولا هم، بإذن الله، ونستطيع أن نحصل بها على كل ما نتمناه من طيبات هذه الحياة الدنيا، وعلى النعيم الدائم في الحياة الآخرة.

فالمالك لها لا يعرف معنًى للاكتئاب، بل تراه يحيا حياة طيبة؛ لأن الخالق معه في كل أموره، وقد رفع الله قدره في الدنيا والآخرة، وقضى حوائجه بما هو خير له وبما يرضيه، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[1] وبهذه الطمأنينة تراه راضيًا كلّ الرضا في جميع أحواله، لأنه بفضل الله قد وصل إلى درجة ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[2].

(١) سورة النحل: ٩٧.

(٢) سورة المائدة:١١٩.

لكن الحصول على هذه الطاقة لا يستطيعه إلا من تفضل الله بها عليه، فآمن بوجودها وجرب بعضًا من آثارها، وكلما ازداد المؤمن إيمانًا بالله قولًا وتطبيقًا في كل أمور حياته ازدادت هذه الطاقة لديه، فعرف قيمتها واستزاد منها.

وبعض مَن عرَف هذه الطاقة عرَفها أكثر عندما فقدها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾[1] وهؤلاء الناس من بني إسرائيل، هم المؤمنون الذين جربوا هذه الطاقة وأحسوا بفقدانها في لحظة من لحظاتهم، في ذلك اليوم، عندما قالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ﴾[2] فهم يعرفونها، وقد جربوها في كثير من أمورهم، فبها لا يقف أمامهم شيء ولا يعكر صفوهم شيء بإذن الله، لأن قربهم من الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يملأ قلوبهم وجميع جوارحهم بالقوة التي يتغلبون بها على كل ما يواجهونه في حياتهم اليومية، ويجعلهم راضِينَ مطمئنين، لا يعرفون التوتر ولا القلق، لكنهم في ذلك اليوم العصيب، وفي لحظة من اللحظات، أحسوا بفقدان تلك الطاقة، وذلك بسبب بعض ما كسبت أيديهم، فأعلنوا بصوت مسموع عن فقدانها.

وهؤلاء الملأ من بني إسرائيل عندما أعلنوا اعترافهم بالذنب ومِن ثَمَّ توبتهم، أعانهم الله بإخوان لهم، ممن يتواصون بالحق ويتواصون بالصبر، يملكون طاقة دائمة لا يفقدونها أبدًا، بإذن الله، فذكّروهم بالله فاستقَوا من إيمانهم وطاقتهم إيمانًا وطاقة أعانتهم على الثبات والطمأنينة والقوة المعنوية والمادية، فهزموا العدو بإذن الله، وهم الذين قال الله عنهم: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩﴾[3].

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٤٩.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٤٩.

(٣) سورة البقرة: آية ٢٤٩

وكان من بين هؤلاء الذين يظنون أنهم ملاقو الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد كان أعلاهم إيمانًا، ومِن ثَمَّ أعلاهم طاقة، ومكَّنه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من أخطر عدو لهم، وهو جالوت، وقد أخبر الله سبحانه عن ذلك بقوله: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾[1].

ولذلك حاز داود الدنيا والآخرة، فبعدما كان جنديًّا من الجنود، أصبح مَلِكًا على كل الجنود، بل وتفضل الله عليه بأن جعله نبيًّا، فآتاه الله الملك والحكمة وعلَّمه مما يشاء.

وقبل أن يذهب داود للقتال لم يكن يَدُرْ في خَلَده هذه المنح من الله، ولم يطلبها ولم يَسْعَ إليها لِذاتها، وإنما كان همه هو رضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فرضي الله عنه، وأرضاه في الدنيا والآخرة، حيث أوصله الله إلى مرحلة الرضا بعد أن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[2] فلا يرى فوق عطاء الله عطاء، ولا فوق قدر الله قدرًا، ولا فوق رضا الله رضًا، فقد رضي واطمأن في كل لحظة من لحظاته.

وذلك خلاف مَن طلبوا المُلك قبل الذهاب، وهم الذين قال الله عنهم: ﴿قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾[3] يعنُون بذلك طالوت، وهؤلاء أبعد ما يكونون عن الرضا، فقد كان هدفهم دنيويًّا، فلم ينالوا دنيا ولا آخرة، بل قال عنهم طالوت: (إنهم ليسوا مني) وأبعدهم عنه حينما لم ينجحوا في امتحان النهر، فأصبحوا من الخاسرين.

(١) سورة البقرة: آية ٢٥١.
(٢) سورة المائدة: ١١٩.
(٣) سورة البقرة: آية ٢٤٧.



وهؤلاء الخاسرون الذين لا يملكون تلك الطاقة، يجهلون أن هناك طاقة، والجاهل بوجود الشيء لن يطلبه ولن يسعى إليه.

ونحن في هذه الكلمات سنحاول أن نتعرف على هذه الطاقة، وكيف حصل عليها داود والذين معه ممن يظنون أنهم ملاقو الله، فنحاول أن نحصل عليها نحن أيضًا، لنستعين بها بإذن الله في كل أمور حياتنا المادية والمعنوية، وتكون سببًا لنا في السعادة في الدنيا، والفوز بالفردوس الأعلى في الآخرة.



أحسن القصص

إن من عدل الله ورحمته بنا أن قص علينا أحسن القَصص، كما قال سبحانه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾[1].

فمنذ أن خلق الله سبحانه آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بل وقبل أن يُخلق آدم، إلى يومنا هذا، هناك مليارات القصص بعدد مخلوقات الله، قصص بين الله وملائكته، وبين الله وإبليس، وبين آدم وربه، وبين آدم والملائكة، وبين النبي وقومه، وبين الابن وأبيه، وبين الأخ وأخيه، وبين المرء وصديقه، وبينه وبين عدوه، وبين الإنس والجن، وبين الإنسان والحيوان ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝٢٠﴾[2] وبين النملة والنمل ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٨﴾[3].

قصص لا يعده ولا يحصيه إلا الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وقد اختار لنا منها أحسن القصص التي مرت على كل العصور لكي نتدبرها ونستفيد مما فيها من أمور حصلت على أرض الواقع، وليست نظريات غير مطبقة أو لا يمكن تطبيقها، ولكي نراها رأي المتيقن بقول الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عندما يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ونعمل بمثل ما عمل به أولئك المؤمنون فنكون مثلهم.

---

(١) سورة يوسف: آية ٣.

(٢) سورة النمل: آية ٢٠.

(٣) سورة النمل: آية ١٨.

وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حينما يخبر عن بعض القصص ويقول: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ فكأن المـُخاطَب يرى ما فعل ربه بما أخبَر رأي العين، بل إنه أقوى مما لو رآه رأي العين؛ لأن المُخبِر هو الله الذي يخبرنا بأدق التفاصيل ذات الفائدة ويترك ما ليس فيه فائدة من ذكره، فنكون رأينا أفضل ما يمكن رؤيته، بل وما لا يمكن أن نراه من خفايا قلوب أصحاب القصص، ومن الغيبيات أثناء الحدث وقبل الحدث وبعده.

والآيات التي يخاطب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في القرآن بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ كثيرة، ومن تلك الآيات خبر طالوت وجالوت، الذي سوف نحاول أن نرى منه، كما أمرنا الله أن نرى، ونتدبر ما فيها من الآيات العظيمة، فنتعرف بذلك على الطاقة التي ذكرها الله في خبر طالوت وجالوت، وكيف نحصل عليها لنتقوى بها بإذن الله على كل أمورنا المادية والمعنوية.



طالوت وجالوت

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩)﴾[(١)].

لقد زاد اللهُ طالوتَ بسطة في العلم، لذا فهو يعلم من الله أن عدوه قوي وذو عتاد، ويلزم لهزيمة ذلك العدو طاقة، ويعرف أيضا أين تكمن هذه الطاقة.

وهو عندما خرج للقتال، خرج معه كل الرجال، المؤمن منهم وغير المؤمن، وبقي من له عذر بالقعود من الأطفال والنساء والعجزة والمرضى.

وقد سمى الله هؤلاء الذين خرجوا بالجنود ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾[(٢)] ولم يسمهم بالمؤمنين إلا بعد ما اجتازوا امتحان الإيمان، بعد اجتيازهم للنهر، حيث قال سبحانه عنهم: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾[(٣)].

لذلك أراد طالوت ألا يصحب معه إلا من يستطيع أن يملك تلك الطاقة – مع علمه بأنه سوف يفقد بذلك جزءًا كبيرًا من الجنود – ولا يملك هذه الطاقة إلا المؤمنون، كلٌّ على قدر إيمانه. فالمعركة هنا معركة عقدية بين الكفر والإيمان وليست معركة مادية، والكافر لن يقاتل مع المؤمن لنصرة العقيدة الفاقد لها بالأصل.

---

(١) [سورة البقرة: آية ٢٤٩].

(٢) [سورة البقرة: آية ٢٤٩].

(٣) [سورة البقرة: آية ٢٤٩].

ولأن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عادل في حكمه فقد أراد سبحانه أن يكون التقسيم واختيار المؤمنين ظاهرًا معلومًا للكل، مع أنه - سبحانه - يعلم المؤمن من غير المؤمن.

ولأن الإيمان الحقيقي هو الذي يصدقه العمل ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[1] فقد جاء ابتلاء النهر ابتلاءً عمليًّا للجميع، والذي سوف يعكس صورتهم الحقيقية لِـما كانوا عليه قبل الابتلاء.

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ﴾[2].

الابتلاء يكون بالبلاء، وهذا هو الفرق بين الصيغتين، فالبلاء هو الحدث نفسه، والابتلاء هو تأثير هذا الحدث على الإنسان.

وإذا ذكر الله الابتلاء في القرآن فإنه لا يذكره إلا لتمييز المؤمن القوي من المؤمن الضعيف، والمؤمنين من غير المؤمنين، ليمحص الله الخبيث من الطيب، كما قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴿١٢﴾﴾[3] ففي هذا الموقف سمى الله الذين ثبتوا على إيمانهم بالمؤمنين، أما المنافقون فقد فضحهم الله بهذا الابتلاء حتى أعلنوا كفرهم، وعرفهم الناس، حيث قالوا: ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورًا.

(١) [سورة العصر: آية ٣].

(٢) [سورة البقرة: آية ٢٤٩].

(٣) [سورة الأحزاب: الآيات ١٠-١٢].

وفي قصة جنود طالوت، الكل هنا قد خرج وهو يدّعي الإيمان، مع قائدٍ مؤمن وهو طالوت، لذا فقد أخبر الله سبحانه عن هذا الموقف بأنه ابتلاء، حيث يقول سبحانه: ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم﴾[1].

ولقد بيّن ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لهؤلاء الملأ من بني إسرائيل ماهية هذا الابتلاء، بل وطريقة النجاح وتخطي الامتحان، كما أنه سبحانه سهل عليهم الامتحان وأعطاهم فرصتين للنجاح مقابل فرصة واحدة للخسارة، وأخبرهم سبحانه بنتائج هذا الابتلاء قبل الدخول فيه، ومع ذلك أصرّ الخاسرون إلا الخسارة، ولم يجتز هذا الامتحان إلا القليل منهم.

وقد أظهرت نتيجة هذا الابتلاء ثلاث فئات من الناس:

* **القسم الأول:** لا يعرف هذه الطاقة ولا يعرف أنها موجودة، وهم الظالمون. وقد ذكرهم الله وذكر صفاتهم في بداية القصص إلى ما قبل اجتياز النهر.
* **القسم الثاني:** الذي يعرف هذه الطاقة وقد يفقدها في لحظة من لحظاته بسبب عدم كمال الإيمان عنده.
* **القسم الثالث:** هو كامل الإيمان والمالك لهذه الطاقة من الله في كل وقت من أوقاته، والذي طمأنه الله وأذهب عنه كل مسببات الغم والهم.

وقد ذكر الله صفات القسمين الثاني والثالث من المؤمنين بعد أن اجتازوا النهر، فكان النهر هو الفاصل بين الكفر والإيمان.

---

(١) [سورة البقرة: آية ٢٤٩].

الفئة الأولى: الذين لا يعرفون ولا يملكون الطاقة:

في بداية هذا القصص أعطانا ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مقدمات لنتعرف بها على فاقدي الإيمان الذين سماهم الله بالظالمين، وهم الذين لا يملكون أدنى شيء من الطاقة قبل وبعد وصولهم للنهر، وذكر بأنهم هم الأغلبية.

وكأنه طمأنة للمؤمن حتى لا يجزع من هذه النتيجة التي قد يراها في كل عصر من العصور، حيث أخبرنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن الغالبية العظمى من الناس يدّعون المثالية، وليسوا كذلك، بل سماهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالظالمين، فقد ظهر عند الامتحان أن غالبية الناس ليس لديهم من الطاقة المادية أو المعنوية أدنى شيء، ثم أخبرنا أن القليل من الناس هم المؤمنون الذين عرفوا الطاقة الحقيقية فتشبثوا بها، ومن فقدها منهم، أو فقد شيئًا منها في لحظة من لحظاته بحث عنها حتى وجدها.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾[(١)].

فربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمرنا أن نرى عندما قال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾[(٢)] لنعرف حقيقة هؤلاء الملأ من بني إسرائيل الذين ادّعوا المثالية عندما طلبوا القتال في سبيل الله، ولم يكن قد كتب عليهم القتال، ونبيهم يعرف من الله أن هؤلاء الذين طلبوا القتال في سبيل الله ليس لديهم أدنى مقومات القتال، وقد أخبرهم نبيهم بذلك،.لكنهم

---

(١) [سورة البقرة: آية ٢٤٦].

(٢) [سورة البقرة: آية ٢٤٦].

أصروا على طلبهم، وكرروا القول بأن الهدف من القتال أنه قتال في سبيل الله، مع أنهم ذكروا أن السبب الحقيقي من القتال كونهم أخرجوا من ديارهم وأبنائِهم، وليس قتالًا لتكون كلمة الله هي العليا.

قال تعالى مخبرا عنهم: ﴿قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾[1] وبين لنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن سبب خوفهم ومن ثَمَّ توليهم هو كونهم ظالمين، والظالم أينما كان وكيفما كان فإنه في الحقيقة أجبن وأضعف ما يكون، وقد أخبرنا الله عنه في كثير من الآيات،. ونراه في هذه الآيات حالًا واقعًا، فهو- سبحانه - عليم بهم في كل عصر من العصور، يعلم الصادق من الكاذب، وهو - سبحانه - يخبرنا هنا أن الأكثرية في كل عصر هم الظالمون، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾[2] أي إن أكثر الناس هم الظالمون.

و يجب أن نلاحظ هنا أنهم قد كرروا ادعاءهم مرتين بأن القتال قتال في سبيل الله، لكن نبيهم نفى القتال كليةً عنهم، لا في سبيل الله ولا في غير سبيل الله، حيث أخبرنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قوله: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[3] فنبيهم قال لهم: ﴿أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾[4] ولم يقل: (ألاّ تقاتلوا في سبيل الله) فنفى قتالهم كليةً، وتأكد ذلك في قوله تعالى في نهاية الآية: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾[5]

---

(١) [سورة البقرة: آية ٢٤٦].

(٢) [سورة يوسف: آية ١٠٣].

(٣) [سورة البقرة: آية ٢٤٦].

(٤) [سورة البقرة: آية ٢٤٦].

(٥) [سورة البقرة: آية ٢٤٦].

فالأغلبية تولت، وبقيت القلة من المؤمنين الذين لم يطلبوا القتال، وهم الذين اجتازوا امتحان الإيمان باجتيازهم النهر مع طالوت، كما سوف نرى لاحقًا بإذن الله، وهذا يؤكد أنه لم يجتز النهر إلا المؤمنون فقط الذين قاتلوا في سبيل الله، أما الظالمون فإنهم لم يقاتلوا البتة.

ومن المقدمات التي بينت لنا حقيقة هؤلاء الظالمين، قبل الدخول في الامتحان الحقيقي عند النهر، أنهم لم يَخفُوا حرصهم على الدنيا، حيث أعلنوا أنهم هم أحق بالملك من طالوت، فيما أخبرنا الله عنهم: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾[(١)].

وهذا هو الخطأ الثاني، الذي بين لنا سبب الخطأ الأول، والذي كان يوم أن طلبوا القتال وادّعوا أنه في سبيل الله قبل أن يُطلب منهم، وهم ههنا قد جعلوا الأفضل من الناس في نظرهم هو من يؤتَ سعة من المال، بينما الأفضل عند الله هو الأتقى، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[(٢)].

وهذا خطأ ثالث أخبرنا الله به عنهم، لنعرف لماذا وصفهم الله بالظالمين، ونعرف ونرى سبب فقدانهم للطاقة ومن ثَمَّ توليهم عن القتال.

ما أكرمك يا رب وأنت تبين لنا صفات مدَّعي المثالية الذين لم يستطيعوا إخفاء نواياهم الحقيقية من طمع وحبٍّ للذات، وهي نفس الصفات التي قد نراها في كل زمان ممن هم على شاكلة هؤلاء، نراها وقد كشفها الله لنا في كل وقت من الأوقات.

---

(١) [سورة البقرة: آية ٢٤٧].

(٢) [سورة الحجرات: آية ١٣].

ولما أكد لهم نبيهم أن طالوت هو الملك الذي بعثه الله لهم، لم يصدقوه، وطالبوه بأن يأتيهم بآية من ربه.

وهذا هو الخطأ الرابع، حيث لم يصدقوا قول نبيهم، ولكن الله حليمٌ سبحانه حيث أرسل لهم التابوت وفيه بقية من آل موسى وآل هارون عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ – وكان قد سُرق منهم – وقد كانوا يتفاءلون به عند القتال، فيأخذونه معهم عند ملاقاة عدوهم، ويزعمون أن سبب انتصاراتهم هو وجود التابوت معهم، حتى سُلِبَ منهم في آخر حرب لهم، فلما رأوا أن التابوت قد عاد إليهم اقتنعوا بأحقية طالوت بالملك.

واقتناعهم بعد أن رأوا التابوت الذي يتفاءلون به في حروبهم وأنه سبب انتصاراتهم، فيه قدح في توكلهم على الله.

وهذا خطأ خامس، حيث بينوا خوفهم من العدو قبل لقائه، وبينوا عدم ثقتهم بالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

هذه هي بعض المقدمات التي نستطيع أن نراها في هذه الآيات الكريمة من صفات هؤلاء القوم الذين أخبرنا الله عنهم بأنهم تولوا وأنهم ظالمون، حتى نعرف السبب الحقيقي في انعدام الطاقة لديهم، ومِن ثَمَّ رعبهم من العدو حتى تملكهم العطش الشديد بسبب الخوف الشديد، فالخوف يجلب العطش، فلم يستطيعوا أن يمنعوا أنفسهم من الشرب، وبالتالي فشلوا في اختبار النهر، فأصبحوا من الخاسرين، حيث تولوا ولم يقاتلوا مع طالوت، وذلك نتيجة ما كسبته أيديهم من ظلم.

وهؤلاء الذين شربوا من الماء هم الأغلبية، وهم من اعتادوا شرب المعاصي شرب الهيم مجاهرةً وتفاخرًا بها أمام الناس قبل مجيئهم إلى النهر، حتى استمرأوا تلك المعاصي، كما وصفهم الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ووصف طباعهم، وكيف كانت

جرأتهم مع نبيهم، وبالتالي معصيتهم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال تعالى: ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾[1].

وعدم قتالهم وتوليهم يترتب عليه غضب آخر من الله، وهذا يعتبر ذنب وخطأ ومصيبة أكبر من مصيبة الخوف. ولأن هؤلاء وصلوا إلى أعلى درجات الظلم، فقد كانت نتيجة ذلك الظلم من العقاب أيضا عالية، ومنها الرعب الذي يزلزل القلوب في الدنيا، والنار في الآخرة.

فالذي يشرب من النهر شُرب الهيم والكل ينظر إليه وهو غير مبال بما يفعله أمام هذا الجمع، وقد نُهي عن الشرب، هو الذي كان قد شرب المعاصي شربًا وجاهر بها وتفاخر بها ، فهو لا يستحي من الناس، ولا يستحي من الله ابتداءً، فتراه يشرب الكذب شربًا، ويشرب الربا شربًا، ويشرب الفواحش شربًا، ويشرب الخيانة شربًا، ولا يرده عن أي ظلم إلا عدم وجود فرصه أمامه، فمتى وجد فرصة للظلم تراه ظالمًا.

وهذه الفئة قد تبرأ منها طالوت وقال عنهم فيما أخبرنا به الله: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى﴾[2] وهؤلاء ليسوا أهلاً لأن يكونوا مع طالوت في مسيره؛ لأنهم ليس لديهم أدنى شيء من الطاقة، بل إنهم لا يعرفون أن هناك طاقة، فهم أسرى لأهوائهم، وأسرى للشيطان، لا يملكون من قوة الإرادة شيئًا.

ومن حكمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن فضح هؤلاء الظالمين من بني إسرائيل أمام الناس، بل إنه سبحانه فضحهم في قرآن يقرأ إلى يوم القيامة، وذلك حتى يميز الناسُ بين أهل الحق وبين أهل الباطل، وبذلك يعلم الناسُ من يتبعونه ومن

---

(١) [سورة البقرة: آية ٢٤٩].

(٢) [سورة البقرة: آية ٢٤٩].

يحذرون منه. وهذه سنة الله في كل ظالم يصر على الظلم، يفضحه حينما يتعرى من المثاليات التي كان يدّعيها لنفسه في وقت الحاجة الحقيقية لتلك المثاليات.

الفئة الثانية: الذين يملكون طاقة قد يفقدونها في بعض الأحيان.

وهم المؤمنون الذين قد يحصل منهم بعض الخطأ عندما تغلبهم شهواتهم وغرائزهم في لحظة من لحظات ضعفهم، فيستحيون من الله ويرجعون إليه سبحانه ويتوبون. وهم الذين يعترفون أنهم مخطئون أثناء الخطأ، لذلك فهم لا يجاهرون بالمعصية ولا يصرون عليها.

وقد صنفهم الله سبحانه في امتحان النهر بمن اغترف غرفة بيده، وهم الذين لم يستطيعوا المقاومة وأبَوا إلا أن يذوقوا طعمه، ولكنهم لم يصروا ولم يرتَوُوا من الماء وذلك خوفًا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. فهؤلاء أصابهم بعض الخوف والفزع بسبب بعض ما كسبوا من الذنوب، فأحسوا ببعض العطش نتيجة ذلك الخوف، فلم يمنعوا أنفسهم من أن يغترفوا غرفة من النهر، كما أنهم لم يستطيعوا أن يُخفوا هذا الخوف فأعلنوا لمن حولهم بقولهم: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ﴾[1] كأنهم يطلبون العون منهم.

وربنا سبحانه من رحمته بعباده وعلمه بهم فقد عد هؤلاء من المؤمنين. وهؤلاء مستثنَون من الفئتين، من الفئة التي شربت، ومن الفئة التي لم تَطعَم، لذلك جعل الله هذا الاستثناء يأتي بعد ذكر الفئتين، ولم يأت الاستثناء بعد الفئة التي شربت.

لذا لم يقل طالوت: فمن شرب منه فليس مني، إلا من اغترف غرفة بيده، ومن لم يطعمه فإنه مني. بل قال كما أخبر الله سبحانه: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي

(١) [سورة البقرة: آية ٢٤٩].

وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ﴾[1].

فاستثنى من قوله: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى﴾[2] المغترفين بأيديهم غرفة، فكأن طالوت قال: فمن شرب من ماء النهر فليس مني، إلا من اغترف غرفة بيده فإنه مني. فقد استثناهم من أن يكونوا كمن شربوا من النهر شرب الهيم، وبالتالي استثناهم ممن ليسوا منه، فاعتبر طالوت هؤلاء الذين اغترفوا غرفة بأيديهم منه بالإيمان، ثم استثنى من قوله : ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾[3] المغترفين بأيديهم غرفة فقال: ومن لم يطعم ماء ذلك النهر فإنه مني، إلا من طعمه بغرفة يغترفها بيده فإنه ليس مني في كمال الإيمان. حيث إنه لم يصل إلى درجة من لم يطعمه في كمال الإيمان. فالذي اغترف غرفة بيده هو منه في الإيمان، لكنه ليس منه في كمال الإيمان.

و أكثر المؤمنين هم من هذه الفئة، وربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إنما يُذكِّرهم بالرجوع إليه عندما يصيبهم بالمصائب بسبب بعض ما كسبته أيديهم، ليرجعوا إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وليرتقوا إلى أعلى منزلة، وهي منزلة الذين لم يطعموا المعاصي.

الفئة الثالثة : الذين يملكون طاقة دائمة.

وهم الذين لم يطعموا المعاصي ولا يعرفون مذاقها، ولو ذُكر عندهم نوع من المعاصي فتراهم لا يعلمون كيف تكون طبيعة وصفة ومذاق تلك المعصية، لأنهم عزموا على أنفسهم بألا يطعموها أبدًا، و ألا يقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، صغيرها وكبيرها، بل إن نفوسهم تتقزز منها، وإن حصل منهم أي خطأ - بحكم أنهم ليسوا معصومين عن الخطأ - فيكون هذا الخطأ من غير قصد منهم

---

(١) [سورة البقرة: آية ٢٤٩].

(٢) [سورة البقرة: آية ٢٤٩].

(٣) [سورة البقرة: آية ٢٤٩].

ومن غير إصرار عليه.

بل إنهم متى ما اتضح لهم الخطأ فإنهم يبتعدون عنه، ويطلبون المغفرة من الله على ما حصل لهم من جهل بهذا الخطأ من غير قصد، ويطهرون أنفسهم بكثرة الاستغفار والتوبة. ونراهم هنا قد ابتعدوا عن ماء النهر راجين أن يكونوا ممن قال عنهم طالوت: ﴿وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾[1] فلم يتذوقوا طعم هذا النهر، خلاف الذين أسرعوا إلى النهر وطفقوا يكرعون فيشربون منه شرب الهيم.

وهؤلاء الفئة الذين لم يطعموا منه هم الذين يملكون أعلى قدر من الطاقة التي وهبها الله لعباده الذين آمنوا به إيمانًا كاملًا، فهم لم يغترفوا غرفة واحدة من المعاصي قبل وصولهم للنهر، كما أنهم لم يغترفوا غرفة واحدة من ماء النهر ولم يطعموه استجابة للأمر. وسوف نرى أثر هذه الطاقة في هذه الفئة القليلة بعد عبورهم النهر.

وهنا يجدر بنا أن نذكر بعضًا من حِكم الله في أن جعل جميع من حضر هذا الموقف يرى رأي العين هؤلاء الفئة الخالصة التي لم تطعم من ماء النهر شيئًا.

فبعدما كان عملهم الذي بينهم وبين الله مخفيًّا وبعيدًا عن الرياء، لا يراه ولا يعلم به إلا الله، أطلع اللهُ سبحانه الناسَ على حقيقة هؤلاء الصفوة من المؤمنين، فمن يُخفي عمله ويجعله خالصًا لله فإن الله يذيعه للملأ ليعلموه حتى قيام الساعة.

كما أخبر سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عن الذي يؤتي ماله يتزكى، وهو أبو بكر الصديق، حيث أخبر سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عن هذا العمل في قرآن يُقرأ إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا

(١) [سورة البقرة: آية ٢٤٩].

﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾(1).

وهذه الحكمة من الله تعيننا على أن نرى من هو الأتقى الذي يجب أن يُقتدى به ويُطاع ويُسأل النصيحة ويثق به الناس، حتى لا يختلط على الناس المؤمن الحق من المنافق. وهؤلاء هم الذين يثبتهم الله في المواقف الصعبة، فلا يجزعون ولا يخافون، بل تجدهم مطمئنين راضين لذلك.

ولقد استفاد مؤمنو بني إسرائيل من هؤلاء الصفوة بعد عبورهم النهر، وطلبوا منهم النصح، فنصحوهم النصيحة الحقيقية، وانتصروا على عدوهم، حيث قالوا لهم كما أخبرنا الله عنهم: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٢٤٩﴾(2) وهذه الفئة لم تتأثر بهذه الحادثة، بل إنها زادتهم إيمانًا بالله، فأظهروا هذا الإيمان قولًا وعملًا.

حيث أعلنوا ذلك بقولهم كما أخبرنا الله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٢٤٩﴾(3) فلا خوف ولا طلب للعون إلا من الله، كما قال الله سبحانه واصفًا من هم مثلهم في الإيمان في آية أخرى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣﴾(4).

ونجد المصيبة التي يراها غيرهم أنها مصيبة، هم لا يرونها كذلك، وإنما يرون أنها حادثة فيها ابتلاء وامتحان من الله يجتازه وهو راضٍ كل الرضا بإذن الله؛ لأنه

(1) [سورة الليل: الآيات ١٧-٢١].

(2) [سورة البقرة: آية ٢٤٩].

(3) [سورة البقرة: آية ٢٤٩].

(4) [سورة آل عمران: آية ١٧٣].

كان قد وصل إلى مرحلة ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[1] فهو راضٍ تمام الرضا بكل ما يقدره الله، رضًا ليس معه خوف ولا جزع ولا هم ولا غم، لا غم مما فات ولا هم مما سيأتي، ويكون جوابهم في كل مصيبة صغيرة كانت أم كبيرة هو قولهم: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦)﴾[2] وهم الذين يظنون أنهم ملاقو الله. بعكس من يجزع ويسخط عند المصيبة، خاصة في أول الصدمة.

والمؤمنون موقنون بهذا الابتلاء، ويعلمون أنه لا يأتي إلا ليمحص الله به الخبيث من الطيب، فيعدّون هذا الابتلاء تحقيقًا لوعد الله بالابتلاء ويزيدهم إيمانًا على إيمانهم، لذلك فقد تهيأوا له، كما قال الله عنهم: ﴿وَلَمَّا رَءَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢)﴾[3] وذلك لأن لديهم طاقة دائمة من ربهم يعينهم الله بها على كل أمورهم، وهي الطاقة التي أعلن القسم الآخر من مؤمني قوم طالوت عن فقدانها بصوتٍ مسموع حينما قالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ﴾[4] فرأيناها واضحة عند هؤلاء المؤمنين الذين يظنون أنهم ملاقو الله في قولهم: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩)﴾[5].

ومما يميز كاملي الإيمان أن فائض الإيمان عندهم يتعدى إلى غيرهم، وذلك بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر، كما قال الله - تعالى- عنهم: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ

(١) [سورة المجادلة: آية ٢٢].

(٢) [سورة البقرة: آية ١٥٦].

(٣) [سورة الأحزاب: آية ٢٢].

(٤) [سورة البقرة: آية ٢٤٩].

(٥) [سورة البقرة: آية ٢٤٩].

﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩﴾(١) فقد تواصَوا بالتوكل على الله وعدم النظر لعدد العدو، لأن الغلبة ليست بالعدد. ونراهم قد تواصَوا بالصبر على تحقيق معنى الإيمان بأشكاله الثلاثة؛ إيمان بالقلب للوصول لأعلى درجات اليقين، وإيمان باللسان وذلك بالبوح والإعلان بما في القلب من يقين، ودعوة الغير لهذا الإيمان. والشكل الثالث هو الإيمان العملي، وذلك بالصبر على عدم الغرف من المعاصي، وبالتالي يكونون ممن لم يطعم أي معصية كبيرة كانت أو صغيرة.

وبهذا يتحقق لديهم الصبر على قتال هذا العدو، ويتم تأييد ما في القلب وما قاله اللسان بالعمل، فهؤلاء هم الذين يعرفون معنى الصبر، ويعرفون أن الهدف المنشود يتحقق بإذن الله في الوقت الذي يعلم الله أنه هو الوقت المناسب في المكان المناسب، وما عليهم إلا عمل الأسباب حسب طاقتهم، ومن تكون تلك صفاته فقد قال طالوت عنه: ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾(٢) وذلك في كمال الإيمان.

وقد رأينا لفظ ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾(٣) يتكرر في المواقف التي يتضح فيها كمال الإيمان، فقد قالها الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجُلَيبِيبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فيما رواه مسلم في صحيحه:

حدثنا إسحاق بن عمر بن سليط، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن كنانة ابن نعيم، عن أبي برزة أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في مَغزًى له، فأفاء الله عليه، فقال لأصحابه: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قالوا: نعم، فلانًا وفلانًا وفلانًا. ثم قال: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قالوا: نعم، فلانًا وفلانًا وفلانًا. ثم قال: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قالوا: لا. قال: «لَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبِيبًا، فَاطْلُبُوهُ» فطُلب في القتلى، فوجدوه

(١) [سورة البقرة: آية ٢٤٩].

(٢) [سورة البقرة: آية ٢٤٩].

(٣) [سورة البقرة: آية ٢٤٩].

إلى جنب سبعة، قد قتلهم ثم قتلوه، فأتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوقف عليه فقال: «قَتَلَ سَبْعَةً، ثُمَّ قَتَلُوهُ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ» قال: فوضعه على ساعديه، ليس له إلا ساعِدَا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال: فحفر له ووضع في قبره. ولم يذكر غسلاً.

فجُلَيبيبٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وجدوه مقتولًا بين سبعة قد قتلهم، وقد شهد له الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه هو الذي قتلهم، وهذه الصورة تدل على عدم خوفه وعلى عزمه وإقدامه وإصراره على قتال سبعة رجال حتى قُتل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وبهذا أعلن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن جُلَيبِيبًا منه، وأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن جُليبِيب، وهذه شهادة عظيمة لصحابي كان مغمورًا بين الصحابة، حتى أنهم لم يفقدوه عندما سألهم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» كررها مرتين، فذكروا أناسًا ولم يذكروا جُلَيبِيبًا، ولكنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكره لأنه يعرف أن لجُلَيبِيبٍ مكانة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وقد قال له الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا: «غَيْرَ أَنَّكَ عِنْدَ اللهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ» عندما عرَض عليه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزواج فقال عن نفسه: إذا تجدني كاسدًا.

وكل إنسان في هذه الدنيا لابد أن يكون موقعه في إحدى هذه الفئات، فأين نضع أنفسنا نحن من بين هذه الفئات الثلاث؟

❊❊❊

أثر هذه الطاقة الإيمانية على من يملكها

الهدف من تدبرنا لهذه الآيات أن نعرف أين يكون تصنيفنا ضمن هذه الأقسام الثلاثة، وبالتالي كل منا سوف يعرف أثر هذه الطاقة الإيمانية على نفسه من عدمها، تبعًا لتصنيفه، وهو ما حصل لقوم طالوت.

وقد كنا ذكرنا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أخبرنا عن صفات الظالمين قبل أن يصلوا النهر، ورأينا كيف كان النهر هو الفاصل بين الكفر والإيمان، وبين من لا يملك الطاقة الإيمانية ومن يملكها.

فبعد ظهور نتائج الابتلاء اجتاز طالوت النهر هو والذين عدّهم أنهم منه من الفئتين، وهما من لم يَطعَم من النهر، ومن اغترف غرفة بيده، وقد سماهم الله بالمؤمنين حيث قال عنهم: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾[1].

وكان عددهم ثلاثمائة وبضعة عشر، كما جاء في صحيح البخاري عن البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: حَدَّثَنِي أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا أَنَّهُمْ كَانُوا عِدَّةَ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَازُوا مَعَهُ النَّهَرَ، بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلاَثَمِائَةٍ. قَالَ الْبَرَاءُ: لاَ وَاللَّهِ، مَا جَاوَزَ مَعَهُ النَّهَرَ إِلَّا مُؤْمِنٌ[2].

وقد استبعد طالوت الذين شربوا من النهر، وهم الغالبية العظمى من الجنود، وبعد اجتياز النهر نظر غالبية المؤمنين بعضهم إلى بعض، فرأوا أنهم قلة قليلة، وتذكروا كثرة وقوة بطش جالوت وجنوده، فقال بعضهم: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده! كما أخبر عنهم الله سبحانه في قوله: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ

(١) سورة البقرة: آية ٢٤٩.

(٢) صحيح البخاري: (٣٩٥٧) ط الرسالة.

ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ﴾[1] وليس كل الذين آمنوا هم الذين قالوا: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، ولكن هذا يفيد التغليب؛ لأن الأكثرية هم الذين قالوا ذلك، فمنهم من كان ثابتًا وثبَّت إخوانه، كما سوف يأتي لاحقًا بإذن الله.

وهؤلاء الذين أحسوا بشيء من الخوف وبفقدان الطاقة، وأن لا طاقة لهم في ذلك اليوم بالذات هم الذين اغترفوا غرفة بأيديهم من المؤمنين، وهم الأغلبية ممن اجتاز النهر، فأصابهم من الخوف ما أصابهم بسبب بعض ذنوبهم.

كما أخبرنا تعالى في قوله: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[2] فهو سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عاقبهم ببعض ذنوبهم حتى أحسوا بهذا الخوف من العدو، ولو أنه عاقبهم بكل ذنوبهم لأصابهم الرعب ولأصبحوا مع القوم الظالمين ولم يجتازوا النهر، لكنه سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ قد عفا عن كثير من ذنوبهم بسبب إيمانهم.

ولأن سنة الله لا تتغير منذ أن خلق الله الخلق، فإننا نرى نفس مشهد الذين اغترفوا غرفة بأيديهم يتكرر في غزوة أحد، وقد أخبرنا الله عن الذين تولوا في لحظة من لحظات ذلك اليوم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾[3] فأخبر سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في هذه الآية بأن ما أصابهم إنما كان ببعض ما كسبوا وليس بكل ما كسبوا، لأنه سبحانه يعفو عن كثير، ولو أنه سبحانه عاقبهم بكل ما كسبوا لاستأصلهم في هذه المعركة ولم يُبقِ منهم من أحد، لكنه سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ غفور

(١) سورة البقرة: آية ٢٤٩.
(٢) سورة الشورى: آية ٣٠.
(٣) سورة آل عمران: آية ١٥٥.

يغفر الزلات، وهو سبحانه حليم لا يعجِّل العقوبة.

وهكذا فإن كل من يغترف غرفة بيده من المعاصي سوف يتكرر معه هذا المشهد، ويرى بنفسه أثر فقدان الطاقة الحقيقية، طاقة الإيمان الكامل.

وقد رد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على الذين استغربوا حدوث تلك المصيبة في غزوة أحد بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾[1].

فإذا رأينا آثار ما كسبته الأيدي في هؤلاء، وهم أصحاب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذين أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه عفا عنهم وهو الغفور الحليم سبحانه، فيجب ألا نأمن المصائب في أنفسنا بسبب ما كسبته أيدينا من اغتراف غرفة من المعاصي.

ويجب أن نعلم أنه عندما يصاب أحدٌ بجرحٍ في إصبعه، فإن هذا الجرح إنما هو بسبب بعض ما كسبه من المعاصي، ولو لم يعف سبحانه عن الكثير لقُطِعت يد هذا الإنسان من العضد أو من الكتف وليس فقط جرحٌ في الإصبع، فكأنه سبحانه بعفوه وحلمه قد عفا عما يوجب قطع اليد كلها، لذا وجب علينا أن نحمد الله على هذا العفو، ونستغفره عن كل مصيبة، وهكذا مع كل المصائب، لأنه سبحانه أخبرنا بذلك على العموم بقوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾[2].

ومن هنا وجب على كل منا أن يراجع نفسه ويقلص أسباب المصيبة، فلا يطعم من المعاصي شيئًا ليصل إلى مصاف الذين قال عنهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ﴾[3] وهم الذين تطمئن قلوبهم في كل حين فلا يجد الخوف والغم

(١) سورة آل عمران: ١٦٥.
(٢) سورة الشورى: آية ٣٠.
(٣) سورة البقرة: آية ٢٤٩.

والهمُّ سبيلًا إلى قلوبهم، فقد وهبهم الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ طاقة تعينهم بإذن الله على كل أمورهم الدينية والدنيوية.

وهؤلاء هم الواثقون بالله وبقدرته وبرحمته، وبنصره لهم في أي زمان ومكان، وهم الذين يعرفون الله، ويعلمون علم اليقين أنهم ملاقو الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ويعلمون أن الله بيده الخير، فكل ما يصيبهم إنما هو خير من الله، وما أصابهم من شر فإنما هو من أنفسهم، قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[1] لذلك فهم يبعدون أنفسهم عن كل ما يوجب نزول المصيبة عليهم، ويجاهدون أنفسهم في ذلك، وإذا حصل منهم خطأ من غير قصد، لأنهم غير معصومين من الخطأ، فإنهم يبتعدون عنه لحظة معرفتهم بذلك، ويطهِّرون أنفسهم بكثرة الاستغفار والتوبة.

وقد أخبرنا سبحانه عن بعض صور هؤلاء المؤمنين الذين لم يطعموا المعاصي ممن كانوا مع طالوت، فنراهم في أحلك المواقف ثابتين مطمئنين لا يبدو عليهم الخوف، بل إنهم يحاولون تثبيت وطمأنة إخوانهم ممن اغترف غُرفة بيده، الذين بدا عليهم الخوف والارتباك.

وقد علم الله ذلك عنهم، فقال واصفًا الذين لم يطعموا بقوله سبحانه: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةَۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩﴾[2] وهذا هو حال من لم يطعم المعاصي في كل وقت وفي كل حال من أحواله، وصبر على ذلك واستمر عليه، تراه مطمئنًا ثابتًا، قد طمأنه الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لأنه سبحانه مع أوليائه الصابرين على طاعة الله وعلى البعد عما يغضبه سبحانه.

---

(١) سورة النساء: آية ٧٩.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٤٩.

ونرى مثل هؤلاء في غزوة أحد ممن كان مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد وصفهم الله بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[1].

فما أعظمه من وصف حيث وصف سبحانه فئة منهم بالمحسنين وبالمتقين، وهم الذين يعبدون الله كأنهم يرونه حقيقة، فإن لم يكونوا يرونه فهم يعلمون علم اليقين بأنه سبحانه يراهم، لذا فهم يتقون غضبه في كل أمور حياتهم، فلا يقولون ولا يفعلون ما يغضبه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾[2] وإذا وصف العظيم سبحانه شيئًا بأنه عظيم فليس لك أن تتخيل عظمة هذا الشيء، لأنك لن تستطيع. جعلنا الله وإياكم من هؤلاء المحسنين المتقين الحائزين على هذا الأجر العظيم.

ومن آثار هذا الأجر العظيم في الحياة الدنيا ما أخبر به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في قوله: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾[3] فهنا نعمة ليست كأي نعمة، بل نعمة من الله سبحانه لا من غيره، وهي خاصة لهؤلاء، فلم يمسسهم أي سوء، وقد جاء ذكر (سوء) بالنكرة المنفية لينفي عنهم أي سوء، صغيرًا كان أم كبيرًا، وهذا من فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ومن فضله أيضًا اتباعهم رضوان الله، وهذا هو الفوز العظيم، لأنهم باتباعهم رضوان الله سيستمرون في كونهم ممن لا يطعمون المعاصي، وهذا تثبيت من

(١) سورة آل عمران: آية ١٧٢-١٧٣.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٧٢.

(٣) سورة آل عمران: آية ١٧٤.

الله لهم على طاعته سبحانه، وبذا تستمر نِعَم الله عليهم وحفظه سبحانه لهم من كل سوء، وكل ذلك لأن الله سبحانه وتعالى ذو فضل عظيم، وفضله سبحانه لا يمكن أن يحيط به مخلوق، زادنا الله وإياكم من فضله ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾[1] واسع الفضل، عليم بمن يستحق هذا الفضل ممن أحسنوا واتقوا، عليم بكيف ومتى يعطيهم هذا الفضل في كل وجوهه، فهو سبحانه الواسع في رحمته، الواسع في عفوه، الواسع في رزقه، الواسع في علمه، الواسع في عطائه.



(١) سورة المائدة: آية ٥٤.

كيف نكون مع من لم يطعمه؟

وبالتالي نحصل على الإيمان الكامل والطاقة الكاملة

رأينا - كما أمرنا الله أن نرى عندما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ - كيف كان مآل الظالمين الذين لا يؤمنون بالله، ورأينا كيف كانت الطاقة العظمى لذوي الإيمان الكامل، وهم الذين نجحوا في الابتلاء وترجموا إيمانهم عملًا، فلم يطعموا المعاصي ولم يعرفوا لها مذاقًا، وهم الذين يتواصَون مع أنفسهم ومع غيرهم بالحق، ويتواصَون بالصبر على الاستمرار في أن يكونوا كذلك. وهم الذين أنعم الله عليهم ووهبهم النصر على عدوهم الطاغية، وهؤلاء قلّة مقارنة بجنود جالوت.

وكذلك رأينا - كما أمرنا الله أن نرى - كيف أن داود جاء جنديًّا من الجنود ورجع مَلِكًا على كل الجنود، فوهبه الله المُلك وجعله نبيًّا وعلّمه مما يشاء سبحانه، حيث كان هو أعظم هؤلاء الجنود إيمانًا، وكان يطبق هذا الإيمان تطبيقًا عمليًّا في كل خطوة من خطواته، فأبعده الله عن كل خسارة وفاز بحظ الدنيا والآخرة.

وإذا رأينا هذا كله فيجب أن نستفيد من هذه الرؤية ونختار لأنفسنا بأن نكون من أتباع أفضل قسم من الأقسام الثلاثة، وهم ذوو الطاقة العظمى الذين لم يطعموا المعاصي. وهذا الاختيار سهل لمن سهله الله عليه، ويتحقق ذلك بالآتي:

أولًا: تحديد الهدف:

فنجعل هدفنا أن نكون مع هؤلاء الذين لم يطعموا المعاصي، فنكون مع من هم أفضل من يمشي على الأرض، وهم أكرم الناس عند الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣﴾[1] فقد أخبرنا سبحانه أن أكرم إنسان عند الله من بين هؤلاء الناس من الشعوب والقبائل هو أتقاهم لله، فلا ينظر سبحانه لا لنوع الجنس ذكر كان أم أنثى، ولا لنوع الشعب، ولا لنوع القبيلة في الإكرام، وهو سبحانه عليم خبير بهؤلاء الصفوة من الأتقياء. جعلنا الله وإياكم من هؤلاء.

ثانيًا: السعي والمجاهدة لهذا الهدف:

لا بد لنا أن نعرف أن كل من أراد الخير وسعى إليه وبذل شيئًا من الجهد في ذلك فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سوف يهديه لأفضل سبيل، وهو سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ففي كل حركة وكل فعل هناك سبيلٌ يكون هو أفضل سبيل، وهو سبيل الله، والساعي لتلك السبل في كل أقواله وأفعاله وفي كل حركاته وسكناته سوف يهديه الله إليها كما وعد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٦٩﴾[2] فهذه الآية فيها هداية وفيها معية مع الله، فهي تبشر بأن كل من حرص على معرفة الحق فإن الله سوف يهديه لذلك، وأن الله مع كل محسن، المحسن الذي يحيا كأنه يرى الله فإن لم يكن يرى الله فهو يعلم بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يراه، فيتقي غضبه بالبعد عما يغضبه.

فإذا كان ربنا سبحانه قد أرسل أفضل البشر، وهم الأنبياء، إلى الكفرة المشركين لكي يدلوهم إلى الطريق المستقيم، وإذا علمنا أن هؤلاء المشركين لم يطلبوا ذلك، بل إن البعض منهم يرفض الرسالة، ويحارب الرسل، والرسل يتصدون لهؤلاء في الطرقات ليبلغوهم دين الله ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ٦﴾[3] فكيف بمن

---

(١) سورة الحجرات: آية ١٣.
(٢) سورة العنكبوت: آية ٦٩.
(٣) سورة عبس: آيات ٥ - ٦.

طلب الهداية من نفسه وبحث عنها وسعى إليها! فالله العادل لن يخيبهم في أي مكان في الأرض ولا في أي زمان، منذ بدء الخلق حتى قيام الساعة.

فعبد الله بن أم مكتوم، وهو الأعمى الذي لا يرى بعينيه، أراد معرفة الحق وسعى إليه بقلبه، فلم يرسله الله إلى أبي جهل ولا إلى الوليد بن المغيرة ولا إلى أي كافر، بل إن الله دله على منبع الحق حيث ذهب إلى الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ليبين له الحق، وقد أصدر الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أمرًا للرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بأن يستمع لهذا الذي جاءه يسعى، وعاتب اللهُ أفضلَ البشر محمدًا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لأنه تلهى عن عبد الله ابن أم مكتوم ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾[1] فالله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وعد بأن كل من جاهد نفسه لمعرفة الحقيقة فإن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ سوف يهديه إلى الحق الذي هو سبيل الله، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾[2].

وقصة إسلام سلمان الفارسي هي أيضًا أحد آثار هذه الآية الكريمة - وأنصح الكل بأن يقرأها - فقد جاهد سلمان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ لمعرفة الحق، فهداه الله سبحانه لأفضل السبل وجاء به سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ من أصبهان في بلاد فارس إلى الشام ومن ثَمَّ جاء به إلى المدينة مقيَّدًا، حتى أوصله سبيل الله وجعله يستقي من معين الهداية، من الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

روى مسلم في «صحيحه» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ، فَلَمَّا قَرَأَ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡ﴾[3] قَالَ رَجُلٌ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **حَتَّى سَأَلَهُ** مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ

(١) سورة عبس: الآيات ٨-١٠.
(٢) سورة العنكبوت: آية ٦٩.
(٣) سورة الجمعة: آية ٣.

ثَلَاثًا. قَالَ: وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ. قَالَ: فَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ ثُمَّ قَالَ: «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ»[(١)].

ومعنى الآية: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾[(٢)] أي من غير العرب، من الفرس والروم وغيرهم من العجم الذين لم يلحقوا بالأميين، وهم العرب الذين بعث الله فيهم رسولًا منهم، وهو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءهم ليتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وقد كانوا قبل مجيئه في ضلال مبين وواضح لكل من له عقل ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾[(٣)].

فسلمان الفارسي من هؤلاء الآخَرين الذين لحقوا بالأميين العرب الذين اتبعوا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد كان هدف سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الإيمان فناله. ولن يطلب الحق والإيمان أحدٌ إلا ناله ولو كان عند الثريا، بشهادةٍ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وشهادةٍ من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكذلك من كان هدفه أن يكون ممن لم يطعم المعاصي وجاهد نفسه على ذلك، فإن الله سوف يهديه لهذا الطريق ويعينه عليه ويكون الله معه دائمًا، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[(٤)] معيَّة من الله للمحسنين دائمة مستمرة. يحيا ومعه الله في كل لحظة من لحظاته، ومن كان الله معه فلن يخسر في أي صفقة.

---

(١) صحيح مسلم: (٦٤٩٨) ط الرسالة، وأخرجه البخاري: (٤٨٩٧) ط الرسالة.
(٢) سورة الجمعة: آية ٣.
(٣) سورة الجمعة: الآيات ٢-٤.
(٤) سورة العنكبوت: آية ٦٩.

ثالثًا: العمل:

بعد تحديد الهدف، وهو أن نكون ممن لم يطعمه، والسعي إلى هذا الهدف ومجاهدة النفس على الاستمرار في ذلك، بعد ذلك يأتي التطبيق العملي، فلا بد أن نحاسب أنفسنا على كل فعل نفعله خلال اليوم والليلة، ويكون ذلك دأبنا في كل شيء، حتى نصل إلى مرحلة التقوى ومرحلة الإحسان. ويتحقق ذلك بالتخلية ثم التحلية.

التخلية:

فالتخلية أن نُخلِيَ أنفسنا من كل ذنب كبيرًا كان أو صغيرًا، لأن الذنوب هي سبب كل مصيبة، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠﴾[1] مصيبة دينية أو دنيوية، مصيبة في الدين أو في البدن، وأكبر مصيبة هي ترك الطاعات؛ لأن السيئة تجلب السيئة وتبعد الطاعة أو تضعفها.

وقد رأينا ما أصاب جنود طالوت الذين شربوا من النهر، فمصيبتهم العظمى في دينهم هي معصية الله في الشرب من النهر والتخلف عن الجهاد مع طالوت، وسبب ذلك كان مصيبتهم في بدنهم، حيث الرعب والخوف الشديد من جنود جالوت الذي زلزلهم وجعلهم يشعرون بالعطش الشديد، حتى إنهم لم يَقوَوا على عدم الشرب، كل ذلك كان بسبب تراكم المعاصي وظلمهم قبل أن يصلوا إلى النهر، حتى وصلوا إلى مرحلة عدم الثقة والقلق، ففضحهم الله أمام الملأ، وهكذا دواليك في حلقة مفرغة، والعياذ بالله من ذلك.

كما يجب ألاَّ نستحقر صغائر الذنوب؛ لأن الإصرار عليها قد يجعلها من

(١) سورة الشورى: آية ٣٠.

الكبائر.

روى أحمد في مسنده أن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ»[1]. أعاذنا الله من ذلك.

وقد يكون الذنب في شيء لم نتوقعه أو نفكر فيه مما اعتاد الناس عليه في حياتهم اليومية، بل قد يكون الذنب في الطاعة، وذلك عندما يعجب إنسان بعمل صالحٍ عَمِلَه، وقد يكون الذنب في عدم أداء الطاعة على الوجه المطلوب الذي يريده الله منا، كعدم الخشوع في الصلاة، وقد يكون الذنب في شيء نرتكبه كل يوم ولا نشعر به، كوجود غل على بعض المؤمنين، أو في عدم خفض الجناح للمؤمنين، والله أمر نبيه أن يخفض جناحه للمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[2].

يجب أن نرجع إلى أنفسنا في كل مصيبة تصيبنا، ولو كانت شوكة نُشَاكُها، وننظر ماذا عملنا من ذنب أوجب علينا هذه المصيبة، فنحمد الله سبحانه أوَّلًا بأنها جاءت في شوكة ولم تأتِ بمصيبة أكبر؛ لأن الله قد عفا عن كثير مما يوجب أكبر من هذه المصيبة، ثم بعد ذلك نحرص حرصًا شديدًا أن نُخْلِيَ أنفسنا من تلك الذنوب بالابتعاد عنها، ولذا نطلب من الله التخلية الكاملة من كل ذنب بالاستغفار والتوبة إلى الله، وإذا لم نتذكر ذنبًا بعينه فلنكثر من الاستغفار والتوبة

(١) مسند أحمد: (٥/ ٣١٢) تحقيق أحمد شاكر، وقال: إسناده صحيح، وكذا صححه الألباني، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ١٠/ ١٩٣).

(٢) سورة الحجر: آية ٨٨.

من كل ذنب علمناه أو لم نعلمه.

فعائشة أحب إنسان للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد علمت أن ليلة القدر خير من ألف شهر، فلننظر ماذا قدم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من نصحٍ لأحب إنسان إليه في أفضل ليلة؟ لقد كانت النصحية طلب العفو من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

روى الترمذي وابن ماجه وأحمد عن عائشة قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: «**قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»[1].

وأبو بكر أحب الناس لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرجال، فلننظر بماذا نصحه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

روى البخاري في «صحيحه» عن أبي بكرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي. قَالَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**»[2].

فأبو بكر، وهو من الصديقين وأفضل الصحابة وأرجحهم إيمانًا، ومع ذلك طلب منه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو ربه ويعترف لربه أنه ظلم نفسه ظلمًا كثيرًا، وأن يطلب المغفرة من ربه في كل صلاة.

إذا عرفنا ذلك فكيف بنا نحن! وكيف بمن يعمل العمل لله ثم يُعجَب بنفسه!

---

(١) الترمذي (٣٨٢٢) ط الرسالة، وابن ماجه (٣٨٥٠) ط الرسالة، وأحمد في مسنده (٢٥٣٨٤) ط الرسالة، وكذلك النسائي في الكبرى (٧٦٦٥) ط الرسالة، وهو حديث صحيح، صححه الترمذي والنووي وابن القيم والألباني وغيرهم.

(٢) صحيح البخاري: (٦٣٢٦) ط الرسالة، وأخرجه مسلم: (٦٨٦٩) ط الرسالة.

مقارنة بأبي بكر الذي شهد له الله بأنه الأتقى، حيث يقول سبحانه: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾[١] ومع ذلك يُعلِّمه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو بهذا الدعاء في كل صلاة حتى ينقيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من كل ذنب.

والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يختر لأبي بكر من بين كل الأدعية التي يَعلمها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا هذا الدعاء، لأنه يعلم قيمة هذا الدعاء، فاختاره الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأحب الناس إليه. وبهذا تحصّل على التخلية قبل التحلية عندما طلب من الله المغفرة ثم الرحمة في كل صلاة يصليها.

بل إن أفضل البشر، وهو الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة.

روى البخاري في «صحيحه» عن أَبي هُرَيْرَةَ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»[٢].

فكثرة الاستغفار وطلب العفو من الله في كل وقت تضمن للمؤمن بإذن الله تنقيته وتخليته من كل ذنب علمه أو لم يعلمه، وإذا خلا المؤمن من الذنوب فإنه بإذن الله يخلو مما يوجب العذاب في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾[٣].

يقول القرطبي في تفسيره لهذه الآية: استفهام بمعنى التقرير للمنافقين. التقدير: أي منفعة له في عذابكم إن شكرتم وآمنتم؛ فنبه تعالى أنه لا يعذب الشاكر المؤمن،

(١) سورة الليل: آية ١٧-٢١.
(٢) صحيح البخاري: (٦٣٠٧) ط الرسالة.
(٣) سورة النساء: آية ١٤٧.



وأن تعذيبه عباده لا يزيد في ملكه، وتركه عقوبتهم على فعلهم لا ينقص من سلطانه.

وقال مكحول: أربع من كنَّ فيه كنَّ له، وثلاث من كنَّ فيه كنَّ عليه؛ فالأربع اللاتي له: فالشكر والإيمان والدعاء والاستغفار، قال الله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾[1] وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾[2] وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾[3] وأما الثلاث اللاتي عليه فالمكر والبغي والنكث، قال الله تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[5] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾[6]. انتهى كلام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[7].

لذلك إذا فكر الإنسان في عمل معصية من المعاصي، فليعلم أنه يهيئ نفسه لاستحقاق مصيبة تصيبه، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾[8].

قال القرطبي في التفسير: أي في تعذيبه إياكم بإقامته حجته عليكم إذ قد نهاكم[9].

التحلية:

وبعد التخلية وتنقية النفس من كل دنس نكون قد هيأنا أنفسنا للتحلية،

(١) سورة النساء: آية ١٤٧.
(٢) سورة الأنفال: آية ٣٣.
(٣) سورة الفرقان: آية ٧٧.
(٤) سورة الفتح: آية ١٠.
(٥) سورة فاطر: آية ٤٣.
(٦) سورة يونس: آية ٢٣.
(٧) تفسير القرطبي (٥/ ٤٢٦ - ٤٢٧).
(٨) سورة النساء: آية ١٤٤.
(٩) تفسير القرطبي (٥/ ٤٢٥).

وتكون النفس أسرع ما تكون لعمل كل ما يرضي الله. وربنا عندما يأمرنا بعمل فإنه – سبحانه – يبدأ بالتخلية قبل التحلية، وأعظم تخلية وتحلية هي في كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وكذلك في قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾[1] فبدأ سبحانه بالتخلية من عبادة غير الله إلى التحلية في عبادة الله وحده والاستمساك بالعروة الوثقى.

وهكذا في جميع أعمالنا، فنتخلى عن الكذب لنتحلى بالصدق، ونتخلى عن الغش لنتحلى بالأمانة، ونتخلى عن النظر إلى ماحرم اللهُ النظر إليه لنتحلى بغض البصر، ونتخلى عن ترك الصلاة أو التكاسل في أدائها لنتحلى بالمحافظة على أدائها على الوجه المطلوب وبالزيادة منها نافلة، ونتخلى عن البخل لنتحلى بالإنفاق في سبيل الله، ونتخلى عن الغضب لنتحلى بكظم الغيظ، وهكذا في كل ما يرضي الله في جميع حركاتنا وسكناتنا.

رابعًا: الصبر:

إذا حددنا الهدف بأن نكون ممن لم يطعم المعاصي، ثم سعينا لذلك وطلبناه، وبعد ذلك بدأنا بتتبع كل خطوة نخطوها، بحيث لا تكون هذه الخطوة إلا فيما يرضي الله، فأخلينا أنفسنا من كل ما يسخط الله، وتحلينا بما يرضي الله، بعد ذلك يأتي الصبر على الاستمرار على هذه الأشياء، وهذا الصبر يساعدنا بإذن الله على تحقيق الأهداف المرجوة في الدنيا والآخرة.

والصبر نوعان:

* **صبر على الأفعال**، وهو فعل الطاعات وترك المعاصي.

(١) سورة البقرة: آية ٢٥٦.

* **وصبر على الحوادث،** سواء كانت في الماضي أو في المستقبل.

ولابد أن يكون الصبر صبراً بالله فلا نستعين إلا به سبحانه، ولله بحيث يكون خالصًا له سبحانه، فلا يكون رياءً ولا لمصلحة دنيوية، ومع الله بالاجتهاد في فعل ما يرضي الله وترك ما يغضبه.

والصبر على الحوادث نستطيع أن نُعرّفه بأنه اليقين والإيمان الكامل في داخل النفس، وفي تصرفات المؤمن، بأن الزمان والمكان لتحقيق الهدف المطلوب هو الزمان والمكان الذي يعلم الله أنه أفضل زمان وأفضل مكان لهذا المؤمن لتحقيق هدفه أو ما ينتظره، وإن تحقق عكس ما ينتظره فليعلم أن عدم تحقيق الهدف إنما هو أفضل له من تحقيقه، فليثق بالله الذي لا يأتي منه إلا الخير، ولا يسخط ولا يجزع، وليكن مطمئنًّا فرحًا بذلك، وليشكر الله ويحمده سبحانه.

وإذا أردنا أن نضع مثالًا عمليًّا لمن يعرف معنى الصبر، فلا أروع ولا أفضل من حادثة صلح الحديبية، وكيف تباين الصحابة في تطبيقهم لمعنى الصبر.

فنرى أن الصحابة ومعهم عمر بن الخطاب، رضوان الله عليهم، استاؤوا من أن يرجعوا للمدينة ولم يعتمروا في تلك السنة، وقد علموا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعدهم أنهم سوف يأتون البيت ويطوفون به، فأراد الصحابة، رضوان الله عليهم، أن يتحقق هذا الهدف في هذه اللحظة، إلا أبا بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فإنه رضي ولم يستأ لذلك، بل إن ردّه على عمر بن الخطاب كان مطابقًا لرد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على عمر بن الخطاب، فأبو بكر يعلم علم المؤمن المتيقن أن أي حدث يحدث له إنما هو خير من الله، فهو في هذه اللحظة يعيش هذا الخير من الله، لذلك نراه في اللحظة التي تم فيها الإعلان عن عدم الدخول لمكة وعدم العمرة، لم يجزع ولم يحزن؛ لأنه يرى هذا الخير رأي العين كما يراه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا

هو معنى الصبر.

ففي صحيح البخاري فيما رواه المسور بن مخرمة ومروان في قصة صلح الحديبية، وفيه: قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللهِ حَقًّا! قَالَ: «**بَلَى**» قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ! قَالَ: «**بَلَى**» قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: «**إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيه، وَهُوَ نَاصرِي**» قُلْتُ: أَوَلَيْس كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «**بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ العَامَ؟**» قَالَ: قُلْتُ: لاَ. قَالَ: «**فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ**» قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللهِ إِنَّهُ عَلَى الحَقِّ. قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ العَامَ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ. قَالَ عُمَرُ: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا. قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «**قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا**» قَالَ: فَوَاللهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ، حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ! اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ. فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ؛ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا[(١)].

فأبو بكر الصديق الذي عوّد نفسه على الصبر بالله ولله ومع الله في كل أفعاله،

(١) صحيح البخاري: (٢٧٣١)، (٢٧٣٢) ط الرسالة، صحيح مسلم: (٤٨٣٤) الرسالة.

أعانه الله على معرفة معنى الصبر على الحوادث، وهو الانتظار لتحقق الهدف في الزمان والمكان الذي يعلم الله أنهما الأحسن لمن يصبر لذلك الوقت، ولذلك كان رد أبي بكر لعمر بن الخطاب هو نفس رد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر عندما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ العَامَ؟» أي: هل أخبرتك يا عمر أننا سوف نطوف بالبيت هذا العام؟ فقال عمر: لا. قال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال له أبو بكر: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ» وهذا هو كمال اليقين والتصديق والإيمان بالله ومن ثم الصبر والانتظار لذلك الوقت بطمأنينة.

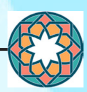
لهذا فإنه لا يتحقق لنا أن نكون ممن لم يطعمه إلا بتطبيقنا لكل معاني الصبر، الصبر الذي لا يستطيعه من يشرب المعاصي شرب الهِيمِ، أو الذي لا يقدر على بعضه ممن يغترف من المعاصي غُرفة بيده.

ومؤمنو قوم طالوت بصبرهم على ترك المعاصي والاستمرار على طاعة الله، أعانهم الله على الصبر والثبات في المعركة حتى حققوا هدفهم المرجو، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾[1].

فهؤلاء القوم صبروا بالله عندما طلبوا العون من الله في قولهم: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾[2] وصبروا لله، فلم يكن صبرهم في عدم الشرب من النهر وصبرهم

(١) سورة البقرة: آية ٢٥٠-٢٥٢.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٥٠.



على القتال رياء ولا لمصلحة دنيوية، وصبروا مع الله فيما يرضيه في أوامره ونواهيه فلم يشربوا من النهر. بعكس الظالمين الذين لم يحققوا معنى الصبر قبل مجيئهم وبعد مجيئهم للنهر، فأصبحوا من الخاسرين.



هل أنت في خسر أم في فوز؟

إن ما حدث لهؤلاء القوم من بني إسرائيل نراه متمثلًا في ثلاث آياتٍ من سورة العصر، وهذا ينطبق على كل البشر وفي كل عصر من العصور، فمن عمل بما جاء في هذه السورة فسوف يصل لأعلى درجات الإيمان، ويحوز أعلى طاقة تعينه بإذن الله في دينه ودنياه.

قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾[1].

فربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُقسِم بالعصر الذي هو الدهر، الذي يتكوّن من كل ثانية، وكل دقيقة، وكل ساعة، وكل يوم، وكل شهر، وكل سنة من سنوات عمر الإنسان، وكل قرن من القرون ليشمل كل جيل من الأجيال حتى قيام الساعة، يُقسِم سبحانه - وهو ليس بحاجة إلى أن يُقسِم - أن الإنسان في كل لحظة من لحظاته في خسر، بل إنه سبحانه زاد على القسم بأن جاء بحرف التوكيد (إن) في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾[2] ليقول لنا سبحانه إن كل إنسان نراه أمامنا هو في حالة خسارة، خسارة متكررة في كل لحظة من لحظاته وكل حركة من حركاته، إلا من استثناه ربنا سبحانه من أن يكون في خسر.

و إذا قال ربنا سبحانه إن الإنسان في خسر فهو في خسر، إلا أن يشاء سبحانه ويجعله ممن يملك الصفات الأربع المنجية بإذنه سبحانه من الخسران، وهي:

---

(١) سورة العصر.

(٢) سورة العصر: آية ٢.

* **أولًا:** الإيمان الكامل بالقلب واللسان والجوارح الذي يحقق أركان الإيمان الستة.

* **ثانيًا:** ترجمة ذلك الإيمان بالعمل الصالح، وهو عمل الجوارح، بحيث يكون كل عمل يعمله هذا الإنسان صغيرًا كان أو كبيرًا، وفي كل لحظة من لحظات عمره، لا بد أن يكون ضمن العمل الصالح؛ لأنه إن خرج عن العمل الصالح فسوف يكون من جملة الذين أقسم الله بأنهم في خسر، والعمل الصالح هو كل عمل يرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

* **ثالثًا:** التواصي بالحق. إذ إنه لا يكفي أن يعمل الإنسان من أجل نفسه فقط، فلا بد أن يتعدى الخير إلى غيره، وأن يحاول نشر هذا الخير ليعم الناس فينجو أكبر قدر منهم من الخسران، فنحصل على مجتمع مثالي، وهذا كله يُترجَم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أيًّا كان هذا المعروف، بدءًا من أعلى الواجبات إلى أدنى المستحبات، وأيًّا كان هذا المنكر، بدءًا من أكبر المحرمات إلى أدنى المكروهات، آخذين بعين الاعتبار أن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، كلٌّ على حسب استطاعته التي يعلم بها الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

* **رابعًا:** التواصي بالصبر للاستمرار على هذه الصفات الثلاث، وهي الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق، الصبر الذي يأتي بعده الفوز - الذي هو ضد الخسارة - يأتي في الوقت والمكان والطريقة الحكيمة التي يعلمها الله سبحانه العليم الحكيم، فيتحقق بذلك الفوز المعنوي في كل لحظة من لحظات هذا الإنسان المستثنى من الخسارة؛ لأنه يعلم علم المؤمن كامل الإيمان المتيقن أن الفوز المادي متحققٌ

بإذن الله في أفضل زمانٍ وأفضل مكانٍ يعلمه الله أنه مناسب لهذا الإنسان المؤمن، فينتج عن هذا كله الطمأنينة والرضا عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾[1].

فالإنسان في كل عمل لابد أن يحقق هذه الصفات الأربع بعد عمل الأسباب، ويصبر على الأعمال لله وبالله ومع الله، ويصبر على الحوادث التي تحدث في الوقت والمكان اللذَيْن يعلم الله أنهما الأفضل لهذا الحدث، أو أن يصبر ويتقبل عدم تحقيق هذا الأمر الذي يعلم الله أن قضاءه سوف يسبب له أذى. هذا هو الفوز بالدنيا الذي يؤدي للفوز العظيم بالآخرة، وهو الفوز بالجنة، والفوز برؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



(١) سورة المائدة: آية ١١٩.

صور ممن لم يطعم المعاصي

قد جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كل عصر من العصور أقوامًا ممن أنعم الله عليهم لم يطعموا المعاصي، ليكونوا قدوة لمن حولهم، وقد تكفل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ببيان حقيقة هؤلاء للناس حتى يميزوا بينهم وبين المنافقين.

وكلما أخفى الإنسان عمله الصالح وجعله خالصًا لله، أظهره الله للناس، حتى إنه سبحانه قد يُظهِر عمل بعض المؤمنين فيعلمه أناسٌ إلى يوم القيامة، والأمثلة على ذلك كثيرة جدا.

قال تعالى يمتدح إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ۝٥٥﴾[1] عملاً يراه البعض صغيرًا، وهو عند الله عظيم، عملاً كان إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يعمله في بيته لا يراه إلا الله، فأظهر الله هذا العمل في قرآن يُقرأ إلى يوم القيامة، أظهره الله بصيغة المدح حيث امتدح إسماعيل بهذا العمل، ولك أن تتصور أن الله يمدحك نفس هذا المديح في كل مرة وأنت تأمر أهلك وأبناءك بالصلاة وغيرها من المعروف؛ لأن سنة الله تمشي على الجميع. فما أعظمه من مادح وما أعظمه من مديح.

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنْ الْخَيْرِ للهِ، فَيَحْمَدُهُ النَّاسُ وَيُثْنُونَ عَلَيْهِ بِهِ! قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»[2] قال العلماء: معناه: هذه البشرى المعجلة له بالخير دليل على رضا الله تعالى عنه ومحبته له فيحببه إلى الخلق.

---

(١) سورة مريم: آية ٥٥.

(٢) أخرجه مسلم (رقم ٢٦٤٢).

وسنأتي ببعض الأمثلة لأناس ممن لم يطعموا المعاصي، وكان عملهم خالصًا لله، لا يريدون به غير وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وقد أظهر الله عملهم للناس بعد أن كانوا قد أخفوه، حيث كان مبدأهم في العمل قول الله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾[1].

***

(١) سورة الليل: الآيات ١٩-٢١.

داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

بين لنا ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قَصص قوم طالوت أن أفضل رجل من الذين لم يطعموا النهر هو داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولم يكن قد بعثه الله نبيًّا قبل مجيئه مع طالوت، لكنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان من أولئك الذين أنعم الله عليهم، فربوا أنفسهم على ألا يطعموا شيئًا من المعاصي في جميع أحوالهم، وكان دائم الذكر لله، فكان يسبح وتسبح معه الجبال.

وبين لنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ثمرة هذا الإيمان يوم التقى الجمعان، يوم أن قال الذين اغترفوا غرفة باليد: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾[1] حيث طمأنهم وحثهم داود ومن كان معه، ممن لم يطعموا النهر، على القتال، كما قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾[2] وتأكد هذا القول بالفعل حيث رأينا كيف تقدم داود بشجاعة وتوكلٍ على الله فقتل جالوتَ بإذن الله.

الثمرة التي جناها داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وقوله الحق دائمًا وأبدًا: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾[3].

من هذه الآيات يتبين لنا صفة المؤمن الذي لا يطعم المعاصي، وهي أنه لا يعمل عملًا ولا يعطي عطاءً مجازاة لأحدٍ لأن له فضلًا عليه، أو يتحرّى نعمةً

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٤٩.
(٢) سورة البقرة: ٢٤٩.
(٣) سورة الليل: الآيات ١٩-٢١.

منه، بل يعمل العمل ابتغاء وجه ربه الأعلى، وأغلب أعمال هؤلاء المؤمنين إنما يعملونها في الخفاء ولا يطلع عليها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولذلك شهد الله لمن كانت هذه حاله بأنه الأتقى في قوله سبحانه: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾[(١)].

وقد وعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن من كانت هذه صفاته أنه سوف يرضى، وإذا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن أحد أنه سوف يرضى فإنه لابد أن يرضى؛ لأنه قول الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فلك أن تتخيل مدى الرضا الذي يعيشه من تفضل الله عليه وأرضاه. جعلنا الله وإياكم ممن وعده الله بأنه سوف يرضى.

و لذلك فإن داود جنى ثمرة إيمانه الكامل بالله، فرأينا كما أمرنا الله أن نرى كيف نجح في امتحان النهر، وكيف كان ثباته وتثبيته للمؤمنين عندما واجهوا جالوت وجنوده حتى تم لهم النصر، فاختاره الله من بين الملأ من بني إسرائيل لأن يكون مَلِكًا نبيًّا كما أخبر سبحانه: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾[(٢)].

وهذا ما يريدنا الله أن نراه في قصص الملأ من بني إسرائيل، وما حدث لهم مع طالوت وجالوت، وكيف خسر الخاسرون، وحاز الأفضل منهم - وهو داود الذي لم يطعم من المعاصي - على خير الدارين.

هذا هو طبع الأنبياء كلهم، فهم الذين اصطفاهم الله للنبوة، وكذلك هو طبع من تفضل الله عليهم من الصديقين الذين يقتدون بالأنبياء.

---

(١) سورة الليل: الآيات ١٧-٢١.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٥١.

وإنما ذكرت داود عَلَيْهِ السَّلَامُ من بين الأنبياء لأنه جاء مع الجيش جنديًّا مثل بقية الجنود في الطاعة لطالوت، قبل أن يؤتيه الله الملك والحكمة، لكنه فُضِّل عليهم كلهم بما فضله الله من علو الإيمان، ونجح في الامتحان العلني أمام جميع الجنود، فحاز على خيرَي الدنيا والآخرة.



جُرَيْجٌ الراهب

روى مسلم في «صحيحه» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ جُرَيْجٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَةٍ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ» قَالَ حُمَيْدٌ: فَوَصَفَ لَنَا أَبُو رَافِعٍ صِفَةَ أَبِي هُرَيْرَةَ لِصِفَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّهُ حِينَ دَعَتْهُ، كَيْفَ جَعَلَتْ كَفَّهَا فَوْقَ حَاجِبِهَا، ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَيْهِ تَدْعُوهُ «فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، أَنَا أُمُّكَ، كَلِّمْنِي. فَصَادَفَتْهُ يُصَلِّي، فَقَالَ: اللهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي! فَاخْتَارَ صَلَاتَهُ، فَرَجَعَتْ، ثُمَّ عَادَتْ فِي الثَّانِيَةِ فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، أَنَا أُمُّكَ، فَكَلِّمْنِي. قَالَ: اللهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي! فَاخْتَارَ صَلَاتَهُ، فَقَالَتْ: اللهُمَّ إِنَّ هَذَا جُرَيْجٌ، وَهُوَ ابْنِي، وَإِنِّي كَلَّمْتُهُ فَأَبَى أَنْ يُكَلِّمَنِي، اللهُمَّ فَلَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ الْمُومِسَاتِ» قَالَ: «وَلَوْ دَعَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَنَ لَفُتِنَ» قَالَ: «وَكَانَ رَاعِي ضَأْنٍ يَأْوِي إِلَى دَيْرِهِ» قَالَ: «فَخَرَجَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْقَرْيَةِ فَوَقَعَ عَلَيْهَا الرَّاعِي، فَحَمَلَتْ فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقِيلَ لَهَا: مَا هَذَا؟ قَالَتْ: مِنْ صَاحِبِ هَذَا الدَّيْرِ» قَالَ: «فَجَاءُوا بِفُئُوسِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ، فَنَادَوْهُ، فَصَادَفُوهُ يُصَلِّي، فَلَمْ يُكَلِّمْهُمْ» قَالَ: «فَأَخَذُوا يَهْدِمُونَ دَيْرَهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَزَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُ: سَلْ هَذِهِ» قَالَ: «فَتَبَسَّمَ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَ الصَّبِيِّ فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: أَبِي رَاعِي الضَّأْنِ. فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْهُ قَالُوا: نَبْنِي مَا هَدَمْنَا مِنْ دَيْرِكَ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ. قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَعِيدُوهُ تُرَابًا كَمَا كَانَ. ثُمَّ عَلَاهُ»[(١)].

وفي رواية لمسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً، فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ! فَقَالَ: يَا رَبِّ

(١) صحيح مسلم: (٦٥٠٨) ط الرسالة.

أُمِّي وَصَلَاتِي! فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِه، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ! فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي! فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِه، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ! فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي! فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِه، فَقَالَتْ: اللهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ. فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ!» قَالَ: «فَتَعَرَّضَتْ لَهُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِه، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ. فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ فَوَلَدَتْ مِنْكَ! فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاءُوا بِه، فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ. فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ وَقَالَ: يَا غُلَامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ الرَّاعِي. قَالَ: فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِه، وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ. قَالَ: لَا، أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ. فَفَعَلُوا.

وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّه، فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذَا! فَتَرَكَ الثَّدْيَ وَأَقْبَلَ إِلَيْه، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ! ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ فَجَعَلَ يَرْتَضِعُ» قَالَ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ فِي فَمِه، فَجَعَلَ يَمُصُّهَا. قَالَ: «وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ! سَرَقْتِ! وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ! فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا! فَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ: اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا! فَهُنَاكَ تَرَاجَعَا الْحَدِيثَ، فَقَالَتْ: حَلْقَى! مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ فَقُلْتُ: اللهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ! فَقُلْتَ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ! وَمَرُّوا بِهَذِهِ الْأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ، سَرَقْتِ! فَقُلْتُ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي

مِثْلَهَا! فَقُلْتَ: اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا! قَالَ: إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا، فَقُلْتُ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ! وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا: زَنَيْتِ وَلَمْ تَزْنِ، وَسَرَقْتِ وَلَمْ تَسْرِقْ، فَقُلْتُ: اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا»[1].

أغلب الناس يستشهد بحديث جريج عندما يتكلمون عن بر الوالدين والإحسان إليهما والحذر من عقوقهما، ولهم الحق في هذا الاستشهاد، لكن البعض يغفل عن فائدة عظيمة في هذا الحديث، فما هذه الفائدة؟

هذه الفائدة نراها في حسن ظن جريج بربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وكأنه يعلم أن الصبي يعرف من هو أبوه، ويعلم أنه سيتكلم وهو في المهد، حيث أتى جريج وسأل الصبي الذي عمره يوم أو يومان بكل ثقة ويقين بربه من أنه سيجد الجواب عند هذا المولود، وبالفعل وأمام دهشة الجميع أجابه الصبي إجابة برّأته مما اتهموه به.

نحن نعلم أن جريجًا ليس بنبي ليُوحَى إليه، فما الذي جعل جريجًا يتيقن بالإجابة! لاسيما أن السؤال كان ارتجاليًّا أمام الناس، وقد يقع في حرج كبير أمامهم لو لم يجبه الطفل.

وللجواب على هذا التساؤل نقول: الذي جعل جريجًا متيقنًا من الإجابة هو رصيده مع الله في دوام العبادة والطاعة والشكر له، وأنه لم يكن ممن يطعم المعاصي، فحاز على طاقةٍ مثل طاقة من لم يطعم من النهر من قوم طالوت.

وقد يكون جرب نفسه مع الله، وعلم أنه مجاب الدعوة، فظنه بالله أكبر مما نتصور نحن، ودليلنا على ذلك كله هو:

(١) صحيح مسلم: (٦٥٠٩) ط الرسالة، ورواه البخاري: (٣٤٣٦) ط الرسالة.



أولًا: رصيده مع الله في دوام العبادة لله:

فقد كان جريج دائم الصلاة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حتى أنه لم يُرِدْ أن يَتلهى عن الصلاة ولو للحظات مع أمه، مع أن إجابته لأمه أيضًا عبادة وطاعة لله، لكنه اجتهد في اتخاذ القرار بين أمه أو صلاته، فاختار اجتهادًا صلاته واستمر في الصلاة، فهو يعتبر أن لحظةً يبتعدُ فيها عن الصلاة وعن الوقوف أمام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خسارة كبيرة بالنسبة له؛ لأنه يتلذذ بكل ساعة وكل دقيقة وكل ثانية يكون فيها واقفًا أمام الله.

وهذا التلذذ يذكرنا بالحديث الذي رواه أبو داود عن سالم بن أبي الجعد: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا»[1] فقرة عين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُعِلَتْ في الصلاة. وهذا هو دأب العارفين بلذة الصلاة، نسأل الله أن يبلغنا منازلهم.

ثانيًا: رصيده مع الله في كونه ممن لم يطعم المعاصي:

فجريج لم يَدَعْ عبادة من العبادات، وهي طاعة أمه، لتلهِّيه عن العبادة الكبرى وهي الصلاة، فكيف بمعصية؟ فترْكُ المعصية بالنسبة له من باب أولى. وهذا دليل على أنه لا يطعم المعاصي أبدًا.

وأمه تعرف هذا تمام المعرفة، فهي تعلم أنه لا يوجد شيء من حطام الدنيا يهتم به جريج لتدعو عليه به، فعندما غضبت دعت عليه بشيء هو عنده عظيم، وهو النظر إلى المومسات، ولذلك عندما رأى المومس تبسم لأنه تذكر دعوة

(١) سنن أبي داود: (٤٩٨٥) وصححه الألباني، وقال الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٦٢): إسناده سند الصحيحين.

أمه، وعرف أن الله استجاب لها، فعلم بذلك أنه أخطأ في اجتهاده، فصلى ركعتين استغفر الله ودعاه بهما، فغفر الله له واستجاب لدعوته.

فهذا هو جريج لا يرضى لنفسه النظر ولو للحظة واحدة للمومسات، ولو كان مضطرًّا للدفاع عن نفسه، كما هو الحال عندما ادعت عليه تلك المرأة، وهذا كله لأنه ربّى نفسه على أن يكون ممن لم يطعم المعاصي.

فأين نحن من جريج في ذلك؟

۞ الثمرة التي جناها جريج من هذا العمل:

لقد كان عمل جريج مخفيًّا عن الناس فلا يطّلِع على اجتهاده في العبادة، ولا يعلم بمدى إخلاصه وابتعاده عن المعاصي إلا الله، فأظهر الله ذلك للناس وبين الله لهم رضاه عن جريج حتى وصل إلى مرحلة ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾[(١)] فقد وصل إلى مرحلة التشبع من الرضا فرضي عن الله، حتى لا يرى فوق عطاء الله عطاء ولا فوق رضا الله رضا ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾[(٢)].

ولأن الله وعد من كانت هذه صفاته أنه سوف يرضى، فقد أرضى الله جريجًا عندما طلب شيئًا من الخوارق، حيث استجاب له وأنطق الصبي شاهدًا ببراءته أمام الناس.

لذلك فليس بغريب أن يرفض جريج إعادة بناء صومعته من ذهب كما طلب الناس؛ لأنه يعلم علم اليقين أنه لو طلب من الله أن يقلب صومعته والأرض التي حولها ذهبًا لأجابه الله لذلك بإذنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو القادر سبحانه على ذلك،

---

(١) سورة الليل: الآية ٢١.

(٢) سورة المائدة: آية ١١٩.

فجريج يرى في نفسه أنه أغنى الناس بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي وعده ووعد الأتقى بأنه سوف يرضى.

هذه سنة الله في خلقه إلى يوم القيامة، وهذه سنته فيمن لم يطعم المعاصي، يغنيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الدنيا حتى لا يكون بحاجة لأحد إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وفي الآخرة يفوز بجنات الخلد، وقد طمأنه الله في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾[1].

***

(١) سورة الفجر:٢٧-٣٠.

أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

درجة الأتقى:

إن أفضل قدوة بعد النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن لا يطعم المعاصي هو أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي شهد له الله بأنه الأتقى، قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)﴾[١].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآيات: قال الله تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)﴾[٢] أي: ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات. وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا شك أنه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها؛ فإن لفظها لفظ العموم، وهو قوله تعالى ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى (١٩)﴾[٣] ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة، فإنه كان صدِّيقًا تقيًّا كريمًا جوادًا بذالًا لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٤]. انتهى كلامه.

وهذه شهادة من الله لأبي بكر الصديق على أنه الأتقى، وتقواه التي وصل بها لدرجة الأتقى تعني أنه ممن لم يطعم المعاصي.

---

(١) سورة الليل: الآيات ١٩-٢١.

(٢) سورة الليل: الآية ٢١.

(٣) سورة الليل: الآيات ١٧-٢١.

(٤) تفسير بن كثير، ط العلمية: (٨/ ٤٠٩).

ومن صور تقواه وورعه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ما رواه البخاري في «صحيحه» عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الغُلَامُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أُحْسِنُ الكِهَانَةَ، إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ. فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ، فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ(١).

يقول ابن حجر في فتح الباري بشرح صحيح البخاري: إن أبا بكر إنما قاء لِمَا ثبت عنده من النهي عن حلوان الكاهن، وحلوان الكاهن ما يأخذه على كهانته، والكاهن من يخبر بما سيكون عن غير دليل شرعي، وكان ذلك قد كثر في الجاهلية خصوصًا قبل ظهور النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهذا ورع من أبي بكر(٢). انتهى كلامه.

وروى أحمد في مسنده عن الأسود بن قيس عن ربيح عن أبي سعيد الخدري أنهم خرجوا مع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في سفر فنزلوا رفقاء رفقة مع فلان ورفقة مع فلان. قال: فنزلت في رفقة أبي بكر، فكان معنا أعرابي من أهل البادية، فنزلنا بأهل بيت من الأعراب، وفيهم امرأة حامل، فقال لها الأعرابي: أيسرك أن تلدي غلاما؟ إن أعطيتني شاةً ولدتِ غلاما. فأعطته شاةً، وسجع لها أساجيع. قال: فذبح الشاة، فلما جلس القوم يأكلون قال رجل: أتدرون ما هذه الشاة؟ فأخبرهم. قال: فرأيت أبا بكر متبريًا مستنبلًا متقيئًا(٣).

هذا هو ورعه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في ابتعاده عن كل ما يغضب الله ولو كان له فيه عذر، فإنه يأبى أن يذوق أيَّ معصية، وبهذا الورع نال درجة الأتقى من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

(١) صحيح البخاري: (٣٨٤٢) ط الرسالة.
(٢) فتح الباري لابن حجر- دار المعرفة: (٧/ ١٥٤).
(٣) مسند أحمد: (١١٢٦٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله ثقات.

درجة ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ١٩﴾[1]:

أما عن حرصه على الأعمال التي ترضي الله، فإن كل عمل يعمله أبو بكر الصديق إنما هو عمل خالص لوجه ربه الأعلى، لا يشوبه شائبة، فلا يفعل ذلك مجازاةً لأحدٍ بيدٍ له عنده، حتى وصل إلى منزلة ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ٢١﴾[2] فلا أحدَ من المخلوقين له نعمة يجازيه عليها أبو بكر، بل يفعل ذلك ابتغاء وجه ربه الأعلى وطلب رضاه، ولذلك عندما رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وعده بأنه سوف يرضى.

فما أعظمها من منزلة، منزلة ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ٢٠﴾[3] بحيث تكون عنوانا لكلّ عمل يعمله ابن آدم ليصل إلى رضا الله ومن ثمّ يشمله قول الله: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ٢١﴾[4].

ولأن أبا بكر يُخفي أعماله ويجعلها خالصة لوجه الله حقا، فإن الله يظهرها للناس فتكون معلومة لكل جيل إلى يوم القيامة، ويعلمها من لم يكن قد عاش في عصر أبي بكر الصديق.

ومن هذه الأعمال ما جاء في صحيح مسلم أن أبا هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُم الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟»

(١) سورة الليل: الآية ١٩.
(٢) سورة الليل: الآيات ١٩-٢١.
(٣) سورة الليل: الآيات ١٩-٢٠.
(٤) سورة الليل: الآية ٢١.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»(١).

فكان وحده من بين الحضور الذي اجتمعت فيه هذه الأعمال، فكيف يا ترى يكون أبو بكر بقية يومه؟ وكيف يكون في ليله؟

فهو لم يكن يعلم أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سوف يسأله، وإنما كان هذا هو أسلوبه في الحياة، بحيث لا يترك أية فرصة أمامه يرى فيها زيادة في الأجر إلا استكثر من هذا الأجر مبتغيًا وجه ربه الأعلى، وبهذا استطاع أبو بكر أن يستوفي كل شعب الإيمان بسهولة؛ لأن الله سهلها عليه.

وقد أظهر الله ما أخفاه أبو بكر من أعمال حتى نعرف منزلة من نقتدي بهم من الصديقين، وحتى يبين لنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن الأعمال الصالحة ليست نظريات لا يمكن تطبيقها، وإنما يوجد مؤمنون يطبقونها على أكمل وجه فيتنافس بذلك المتنافسون.

وبهذا نال أبو بكر أعلى الدرجات بعد الأنبياء، وجنى ثمار ذلك في الدنيا والآخرة.

۞ الثمرة التي جناها أبو بكر الصديق:

أولًا: إن أعظم ثمرة جناها أبو بكر الصديق الذي لم يطعم المعاصي، هو شهادة الله له بأنه الأتقى، قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧﴾(٢) وقد ذكرنا أن هذه الآية نزلت في أبي بكر، وبذلك يكون عند الله هو الأكرم بعد الأنبياء، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾(٣).

---

(١) صحيح مسلم: (٢٣٧٤)، (٦١٨٢) ط الرسالة.
(٢) سورة الليل: الآية ١٧.
(٣) سورة الحجرات: آية ١٣.

وكذلك وعد الله له بأنه سوف يرضى، أي سوف يرضى في الدنيا والآخرة، ونحن نعلم أن هدف كل إنسان هو الرضا، وليس بعد الرضا شيء، فهنيئًا لمن قال عنه الله بأنه سوف يرضى؛ لأن وعد الله حق.

ولك أن تتخيل مدى رضا إنسان قد بشره الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة، فأبو بكر قد بشره الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر من مرة بأنه من أهل الجنة، بل إنه يدخل الجنة من جميع أبوابها الثمانية.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ»** قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عَلَى أَحَدٍ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»**[(١)].

ثانيًا: إنه أحب الناس من الرجال للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عن عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلاَسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: **«عَائِشَةُ»** فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: **«أَبُوهَا»** قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **«ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ»** فَعَدَّ رِجَالًا[(٢)].

والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يحب أحدًا إلا لله، ودرجة حبه للشخص إنما هي بدرجة إيمان هذا الشخص، فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعبد الله في حبه للمؤمنين، لأن

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ١٠٢٧).

(٢) البخاري: (٣٦٦٢) ط الرسالة ومسلم: (٦١٧٧) ط الرسالة.

خُلقه القرآن، والقرآن يقول: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾[1] وإذا كان أبو بكر الصديق هو أحب الرجال للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فهذا يعني أن أبا بكر هو أتقى الصحابة وأعلاهم إيمانًا.

ثالثًا: لا عجب من كانت هذه صفاته أن يكون من أهل الدرجات العلا بشهادة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ له.

فقد روى الترمذي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا لَيَرَاهُمْ مَنْ تَحْتَهُمْ كَمَا تَرَوْنَ النَّجْمَ الطَّالِعَ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُمْ وَأَنْعَمَا**».

وقد رواه البخاري ومسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ، مِنَ المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ**» قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لاَ يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: «**بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ**»[2].

رابعًا: إن الله أكرمه بأن يكون هو أول خليفة يخلف رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ على المسلمين، فكانت خلافته أول سُنّة تسن للمسلمين في أمّة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لمن يحكمهم بعد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

وقد كان اختياره رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قدرًا من الله قدّره للمسلمين، وقد علم ذلك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ حيث قال: يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر.

---

(١) سورة الحجرات: آية ١٣.

(٢) البخاري: (٣٢٥٦) ط الرسالة، ومسلم (٧١٤٤) ط الرسالة.

فعن عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ: «**ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ أَبَاكِ، وَأَخَاكِ، حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ وَيَقُولُ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى! وَيَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ**»[1].

فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعمل أي عمل إلا ويتعبد الله بهذا العمل لأنه يطبق قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾[2] ولذلك غضب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو على فراش المرض إلا أن يكون أبو بكر الصديق هو الإمام في الصلاة، ولم يرضَ أن يكون أبو بكر مأمومًا.

فعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي مَرَضِهِ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ**» قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ! فَقَالَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**» فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ: قُولِي إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ! فَفَعَلَتْ حَفْصَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ**» فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ مِنْكِ خَيْرًا[3].

فأي فضل لأبي بكر أفضل من أن يأبى الله والمؤمنون أن يكون خليفة رسول الله غير أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ! ومن يرضى غير ذلك بعد أن سمع كلام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! فليس من المؤمنين الذين ذكرهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنهم يأبون إلا أن يكون أبا بكر، فسُمّي أبو بكرٍ خليفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسُمّي من جاء بعده بخليفة خليفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) مسلم: (٢٣٨٧) ط الرسالة.
(٢) سورة الأنعام: ١٦٢.
(٣) البخاري: (٦٧٩)، (٧١٦) ط الرسالة.

خامسًا: ومن الثمار التي جناها أبو بكر الصديق أن الله أكرمه بكرامات ومن هذه الكرامات ما رواه عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ كَانُوا أُنَاسًا فُقَرَاءَ وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ، وَإِنْ أَرْبَعٌ فَخَامِسٌ أَوْ سَادِسٌ» وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِثَلَاثَةٍ، فَانْطَلَقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَشَرَةٍ. قَالَ: فَهُوَ أَنَا وَأَبِي وَأُمِّي - فَلَا أَدْرِي قَالَ: وَامْرَأَتِي وَخَادِمٌ - بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ تَعَشَّى عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ لَبِثَ حَيْثُ صُلِّيَتِ العِشَاءُ، ثُمَّ رَجَعَ، فَلَبِثَ حَتَّى تَعَشَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ بَعْدَمَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللهُ، قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: وَمَا حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ؟ قَالَ: أَوَمَا عَشَّيْتِيهِمْ؟ قَالَتْ: أَبَوْا حَتَّى تَجِيءَ، قَدْ عُرِضُوا فَأَبَوْا. قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنَا فَاخْتَبَأْتُ، فَقَالَ يَا غُنْثَرُ! فَجَدَّعَ وَسَبَّ، وَقَالَ: كُلُوا لَا هَنِيئًا! فَقَالَ: وَاللهِ لَا أَطْعَمُهُ أَبَدًا! وَايْمُ اللهِ، مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إِلَّا رَبَا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا. قَالَ: يَعْنِي حَتَّى شَبِعُوا وَصَارَتْ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ فَإِذَا هِيَ كَمَا هِيَ أَوْ أَكْثَرُ مِنْهَا، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ مَا هَذَا؟ قَالَتْ: لَا وَقُرَّةِ عَيْنِي، لَهِيَ الآنَ أَكْثَرُ مِنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلَاثِ مَرَّاتٍ. فَأَكَلَ مِنْهَا أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ. يَعْنِي يَمِينَهُ، ثُمَّ أَكَلَ مِنْهَا لُقْمَةً، ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَصْبَحَتْ عِنْدَهُ، وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ عَقْدٌ، فَمَضَى الأَجَلُ، فَفَرَّقَنَا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أُنَاسٌ، اللهُ أَعْلَمُ كَمْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ، فَأَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ، أَوْ كَمَا قَالَ[1].

هذا الحديث يبين لنا فضل أبي بكر الصديق وعلو منزلته عند الله في هذه الكرامة، حيث بارك الله في طعامهم فربا وزاد، حتى أقسمت زوجته لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات، فأكلوا حتى شبعوا جميعًا، ثم فرقوها على جمع من

(١) البخاري: (٦٠٢) ط الرسالة.

الناس. وهذه الكرامات لا تكون إلا لأولياء الله.

سادسًا: ومن الثمار التي جناها أبو بكر أيضا شهادة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له بأنه صدّيق.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ أُحُدًا، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ: «اثْبُتْ أُحُدُ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ»[1].

ومعلوم أن منزلة الصديقين تأتي بعد الأنبياء، وقد أخبر الله أنهم من الذين أنعم الله عليهم، وامتدح من يكون رفيقًا لهم، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾[2] وإذا قال الله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ فاعلم أنهم في أحسن رفقة، لأن الله قال ذلك، فأي منزلة أعظم من هذه الرفقة.

وعظم هذه المنزلة تتضح في آثارها، قال تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[3] فالصديقون قد أنعم الله عليهم من ضمن الذين أنعم الله عليهم بالهداية للصراط المستقيم، ومنزلتهم في اتباع الصراط المستقيم تأتي بعد الأنبياء من حيث التصديق والتطبيق.

واتباع الصراط المستقيم درجات بحسب درجات الإيمان، أعلاها الأنبياء ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون، ولِعُلُوِّ هذه المنزلة أمرنا الله أن ندعوه ليهدينا صراطهم، وبهذه الهداية يمشي الصديقون بنور الله في كل أمورهم، ويصاحبهم التوفيق من الله في كل قراراتهم بإذن الله.

(١) البخاري: (٣٦٨٦) ط الرسالة.
(٢) سورة النساء: آية ٦٩.
(٣) سورة الفاتحة: آية ٦-٧.

ولا عجب أن يكون ذلك لمن هم في أعلى منزلة بعد الأنبياء من اتباع الطريق المستقيم، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾[(١)] فالمؤمنون يمشون بنور الله في كل حركة من حركاتهم، قال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[(٢)] فينير لهم الطريق الصحيح في كل أمورهم، في العبادات والمعاملات، يهديهم الله لعبادته العبادة الصحيحة الخالصة له، ويهديهم ليتعاملوا مع الناس أفضل معاملة؛ ليصلوا بذلك إلى كمال العبادات وكمال المعاملات.

ومثل هؤلاء هم الذين نقتدي بهم ونطلب منهم الاستشارة فيما يطرأ من قضايا وأحداث، لأنهم على نور من ربهم الذي يهديهم إلى الطريق الصحيح، وهذا ما فعله الذين لم يطعموا المعاصي من قوم طالوت حينما طلب منهم إخوانهم العون عندما واجهوا عدوهم جالوت وجنوده، فبينوا لهم أن النصر ليس بالكثرة، وإنما بالإيمان والصبر بإذن الله.

ولأن هذه النصيحة جاءت من مؤمنين هداهم الله إلى صراطه المستقيم، وبينوا هذه الهداية بالإيمان الصادق والثبات والصبر والإخلاص لله، فقد ذكر الله نصيحتهم هذه في آيات تتلى إلى يوم القيامة، وجعل قَصصهم من ضمن أحسن القصص الذي اختاره الله لنا، فذكره في كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾[(٣)].

---

(١) سورة الملك: آية ٢٢.

(٢) سورة المائدة: آية: ١٦.

(٣) سورة البقرة: آية ٢٤٩.

بخلاف المكذبين الذين نجد أن قراراتهم فيها تخبط وارتباك، لأنه ليس لديهم هداية ونور من الله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٩﴾[1] فهُم صُمٌّ لا يستمعون لمن يكلمهم، فلا يرون إلا رأيهم، وهُم بُكْمٌ لا يستطيعون إقناع غيرهم بما يقولون، لأنهم يفقدون الحجة، وهم في ظلمات لا يرون الرؤية الحقيقية لما يدور حولهم، فلا يحسنون تحليل القضايا والحوادث والتصرف على ضوئها.

سابعاً: ثمار الهداية لصراط الصديقين التي تفرد بها أبو بكر الصديق عن غيره من الصحابة:

إن من عدل الله ورحمته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أن دلنا على الصديقين وصفاتهم كي نقتدي بهم ونهتدي بهدايتهم، وكذلك أرانا ثمار هداية الصديقين التي طلب منا أن ندعوه كي يهدينا إياها، ومن ثمار هداية أبي بكر الصديق للصراط المستقيم التي تفرد بها عن غيره:

١) **جوابه السريع** عندما أخبره كفار قريش بخبر الإسراء والمعراج ظنًّا منهم أنه سوف يرتد، فقال قولته المشهورة: (إن كان قاله فلقد صدق)[2] فهذا الرد السريع يدل على إيمانه القوي ويقينه وتصديقه بكل ما يقوله الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ حتى أنه لم يسأل أي سؤال قد يفيد الشك، فلم يسأل عن كيفية الإسراء، ولا متى ذهب، ولا متى رجع، بل كان رده التصديق فقط، لأن كل ما يقوله الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ حق، وهذه الدرجة من الهداية هي نعمة من الله ينعمها على الصديقين من أمثال أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

(١) سورة الأنعام: آية ٣٩.
(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير.



٢) **انفراده في صلح الحديبية عن غيره من الصحابة** الذين حزنوا عندما علموا أنهم لن يدخلوا مكة ولن يعتمروا تلك السنة، فلم يحزن ولم يتضجر ولم يناقش الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك؛ لأنه وصل إلى اليقين بأن كل ما يحدث له إنما هو خير من الله ولو لم ير هذا الخير الآن، لكنه واثق ومتيقن منه؛ لأنه يصدق كل ما يقوله الله ورسوله، وكان عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قد راجع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك ثم راجع أبا بكر، فكان كلام أبي بكر مطابقًا لكلام الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ففي صحيح البخاري فيما رواه المسور بن مخرمة ومروان في قصة صلح الحديبية، وفيه: قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللهِ حَقًّا! قَالَ: «**بَلَى**» قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ! قَالَ: «**بَلَى**» قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: «**إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي**» قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «**بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ العَامَ؟**» قَالَ: قُلْتُ: لاَ. قَالَ: «**فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ**» قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللهِ إِنَّهُ عَلَى الحَقِّ. قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ العَامَ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ. قَالَ عُمَرُ: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا. قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «**قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا**» قَالَ: فَوَاللهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ، حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ! اخْرُجْ ثُمَّ

لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ. فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ؛ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا(١).

وعَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: قَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ يَوْمَ صِفِّينَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ، لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، وَذَلِكَ فِي الصُّلْحِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ! قَالَ: «بَلَى» قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ! قَالَ: «بَلَى» قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: **«يَا بْنَ الْخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللهُ أَبَدًا»** قَالَ: فَانْطَلَقَ عُمَرُ فَلَمْ يَصْبِرْ مُتَغَيِّظًا، فَأَتَى أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ! قَالَ: بَلَى. قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ! قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: يَا بْنَ الْخَطَّابِ، إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللهُ أَبَدًا. قَالَ: فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفَتْحِ، فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ، فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْ فَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: **«نَعَمْ»** فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ(٢).

فقد كان رد أبي بكر مطابقًا لردّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أنه لم يكن حاضرًا عندما كان عمر يسأل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكنه نور الله يهدي لنوره من يشاء، حتى إن أبا بكر ليقينه أقسم بالله على ذلك عندما قال: **فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللَّهِ**

---

(١) صحيح البخاري: (٢٧٣١)، (٢٧٣٢) ط الرسالة، صحيح مسلم: (٤٨٣٤) الرسالة.

(٢) مسلم: (٤٦٣٣) ط الرسالة.، البخاري: (٣١٨٢) ط الرسالة.

إِنَّهُ عَلَى الحَقِّ. فهذا هو صراط الذين أنعم الله عليهم من الصديقين الذين هم بالمرتبة بعد الأنبياء، نرى أبا بكر يمشي عليه من دون تردد أو شك. وهذه الثمرة من أعظم الثمار التي جناها أبو بكر الصديق، وقد عرف عمر هذا بعد ذلك حيث قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا**. أي تكفيرًا لمراجعته للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣) ومن صور الهداية للصراط المستقيم وتصديقه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا إصراره على إرسال جيش أسامة بن زيد بعد وفاة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان أغلب الصحابة معارضين لذلك، وقد ذكروا أسبابا لاعتراضهم، منها أن المرتدين تكالبوا على المسلمين من كل ناحية وهم - بزعمهم - بحاجة لجيش أسامة، لكنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أصر على إنفاذ ما عقده الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنه موقن ومصدق في كل ما يأمر به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون تردد.

روى ابن كثير في «البداية والنهاية» قال: أشار كثير من الناس على الصديق ألا ينفذ جيش أسامة لاحتياجه إليه فيما هو أهم، لأن ما جُهز بسببه في حال السلامة، وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب، فامتنع الصديق من ذلك وأبى أشد الإباء إلا أن ينفذ جيش أسامة، وقال: والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله، ولو أن الطير تخطفنا والسباع من حول المدينة، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة، وآمر الحرس يكونون حول المدينة. فكان خروجه في ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالة تلك، فساروا لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أُرعبوا منهم وقالوا: ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة! فقاموا أربعين يومًا ثم أتوا سالمين غانمين، ثم رجعوا، فجهزهم حينئذ مع الأحياء الذين أخرجهم لقتال المرتدة ومانعي الزكاة[١]. انتهى كلامه.

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير.

فهذه الصور وغيرها انفرد بها الصديق عن غيره من الصحابة حتى استحق لقب الصديق عند الله حيث أصر على إنفاذ جيش أسامة، لأن الذي أمر به هو الرسول ﷺ وهو يعلم أن الرسول ﷺ يمشي على الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين، وهو بذلك يتبع هذا الصراط كما أمر الله أن يتبعه، فيطبق ما يأمر به الرسول ﷺ لأنه يرى الخيرَ في أمر الرسول ﷺ وقد كان ذلك، حيث رجع الجيش سالمًا غانمًا، ولأن أبا بكر كان حريصًا كل الحرص في اتباع صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين، فقد ارتقى بذلك حتى وصل إلى منزلة الصديقين الذين أنعم الله عليهم، ممن يَتَّبِع صراطهم المؤمنون.

٤) هدايته للصراط المستقيم في حربه المرتدين.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العَرَبِ، قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فَمَنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ. فَقَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ**(١).

لقد عرف عمر بن الخطاب رضي الله عنه درجة هداية الصديقين، فأقسم على أن صراط أبي بكر الصديق هو الحق، عندما قال: «**فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللهَ قَدْ**

(١) البخاري: (٧٢٨٤)، (٧٢٨٥) ط الرسالة. ورواه مسلم: (١٢٤) ط الرسالة.

شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْت أَنَّهُ الحَقُّ» فقد هدى الله أبا بكر الصديق إلى الصراط المستقيم في قرارٍ كان قد عارضه جميع الصحابة عليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، فهذه هي الهداية التي أمرنا الله أن ندعوه أن يهدينا إياها، ولا يظفر بهداية الصديقين إلا من اتبع طريق الصديقين، نسأل الله أن يجعلنا منهم.



الخاتمة

تلك هي صفات وأحوال من لم يطعم المعاصي، قد أظهرها الله للناس في كل عصر ليعلموا أن التأسي بهؤلاء واتباع طريقهم المستقيم ليس صعبًا لمن سهله الله عليه.

وهؤلاء قد منّ الله عليهم بمعرفة الأسلحة التي ينفعهم الله بها في الدنيا والآخرة فاستخدموها، فصاروا أقوى وأثبت من يمشي على الأرض بعد الأنبياء؛ لأنهم عرفوا الله الذي يقول في الحديث القدسي الذي رواه أبو هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»[1].

جعلنا الله ممن لا يطعم المعاصي، وممن إذا سأله أعطاه وإذا استعاذه أعاذه. وجعلنا ممن قال عنهم سبحانه: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ٢١﴾[2] آمين.

***

(١) البخاري: (٦٥٠٢) ط الرسالة.

(٢) سورة الليل: الآيات ١٩-٢١.



الفهرس

- المراد بالطاقة ٥
- أحسن القصص ٩
- طالوت وجالوت ١١
  - الفئة الأولى: الذين لا يعرفون ولا يملكون الطاقة ١٤
  - الفئة الثانية: الذين يملكون طاقة قد يفقدونها في بعض الأحيان ١٩
  - الفئة الثالثة: الذين يملكون طاقة دائمة ٢٠
- أثر هذه الطاقة الإيمانية على من يملكها ٢٦
- كيف نكون مع من لم يطعمه؟ ٣٢
  - أولًا: تحديد الهدف ٣٢
  - ثانيًا: السعي والمجاهدة لهذا الهدف ٣٣
  - ثالثًا: العمل ٣٦
  - رابعًا: الصبر ٤١
- هل أنت في خسر أم في فوز؟ ٤٦
- صور ممن لم يطعم المعاصي ٤٩
  - داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٥١
  - جُرَيْجٌ الراهب ٥٤
  - أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ٦٠
- الخاتمة ٧٦

❊❊❊

